
الهيئة العامة لقصور الثقافة
الثقافة
5
تجليات الأديان على الإنترنت
أشواق الكترونية إلى السماء
داليا يوسف

تجليات الأديان على الإنترنت

أشواق إلكترونية إلى السماء

تأليف
داليا يوسف



• تجليات الأديان على الانترنت
• تأليف: داليا يوسف
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2012م
5ر13 × 5ر19 سم
• تصميم الغلاف: د. خالد سرور
• المراجعة اللغوية:
ممدوح بدران
•رقم الإيداع: ٨٢٢٣/ ٢٠١٢
• الترقيم الدولي: 978-977-216-066-2
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدي 11561
ت: 27947891 (داخلي: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

5

سلسلة شهرية تعنى بنشر المعرفة بتكنولوجيا الإعلام الحديث والإنترنت والكمبيوتر

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأي وتوجه المؤلف في المقام الأول.

تجليات الأديان على الإنترنت

القراء الأعزاء

نقدم لكم اليوم دراسة شيقة عن الروحانيات وتجليات الأديان على الإنترنت، وهى دراسة مهمة وشيقة أحسبها الأولى من نوعها فى العالم العربى. أعدت لنا الدراسة الباحثة داليا يوسف.

تأخذنا الباحثة فى رحلة فريدة من نوعها عبر مفهوم مايسمى بـ "الدين الافتراضى" على الإنترنت وما يعنيه هذا بالنسبة لقطاعات عديدة من مستخدمى الإنترنت حول العالم وعبر مختلف الأديان، فنعرف أن مصطلح "الدين الافتراضى" قد يطلق على كل تمثيل للدين على الإنترنت، أو قد يطلق على كل وجود للمؤسسات والأنشطة الدينية فى مساحة افتراضية، وتتسع المساحات الدينية الافتراضية لتأخذ شكل المواقع، والمدونات، والمنتديات والشبكات الدينية وكذلك المجموعات الإخبارية الدينية التى تزيد من أهمية الدين الافتراضى.

تبدا الباحثة دراستها بسؤال عن طبيعة الإنترنت وما إذا كانت تعتبر وسيطًا روحانيًا بطبعه، وتحاول أن تقودنا عبر رحلة لفهم الإنترنت عن طريق تجاوز الثنائية التقليدية بين الروحى والمادى. تقول الباحثة: "أرى زرقة شاشة الكمبيوتر ووصلات الإنترنت تشف عن علاقة ما مع السماء، وأن الإنترنت بكل ما تمثله من رؤى وممارسات إشكالية يمكن استخدامها للكشف عن علاقات اتباع الأديان المختلفة بالسماء وفهمهم لذاتهم والآخرين عبر أدائهم على الإنترنت».

وتتعرض الباحثة للطقوس الدينية المختلفة على الإنترنت والتى ربما نسمع عنها لأول مرة. فمثلا نسمع عن الكنيسة المتخيلة والحج الافتراضى، ونتعلم ماذا يقصد العالم بهذه المفاهيم، وكيف يعمل الإنترنت فى نظر البعض كناقل لتجربة وأنشطة وربما أحاسيس الحج.

وتخصص الباحثة فصلا كاملا للمدونات الدينية حول العالم، وكما تؤكد هى "تأتى دراسات الإنترنت لتساهم بدور واضح فى هذا الشأن. فعبر الإنترنت يمكن ملاحظة إمكانية تجاوز الثنائيات الحدية التقليدية مثل مقدس/ علمانى أو متدين/ غير متدين، فالإنترنت تعد من الساحات الرئيسية التى ينتقى عبرها الأفراد طرقهم فى التعبير عن تدينهم بل ويغيرون هذه الطرق أحيانا." كما تستعرض لنا نتائج دراسة مهمة فى الغرب عن نتائج استبيانات لحوالى مائة مدونة هي الأكثر تأثيرا وإسهامًا فى النقاشات الإلكترونية حول الدين فى المجال العام وفى الأوساط الأكاديمية.

وتتعرض الباحثة لموضوع آخر مهم هو الهوية فى دراسات الأديان على الإنترنت، فبينما أصبح الإنترنت بمثابة صوت لمن لا صوت له، فإن ذلك ينعكس من داخل المؤسسات الدينية التقليدية حيث يرى الشباب أهمية أن تكون الطقوس الدينية أكثر ديناميكية وأكثر مشاركة وإبداعا ويحاولون توظيف الإنترنت لضمان تلك النتيجة.

وأخيرا فإنه لمن اللافت للنظر قلة الأبحاث العلمية والمقالات التى تتناول العلاقة بين الإنترنت والأديان والنابعة من المنطقة العربية برغم كون هذه المنطقة هى منبع الأديان وقبلتها. وعليه فنرجو أن تثير هذه الدراسة التى نحن بصددها شهية الباحثين فى البلدان العربية للخوض فى هذا الموضوع المهم.

ونرجو أن تحوز الدراسة قبولكم.

د. رشا عبدالله

رئيس التحرير

أستاذ الإعلام بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

مقدمة

لم يكن سائق سيارة الأجرة البريطانى يقصد الإساءة حينما قال مطمئنا طفلتى – التى أفزعها كلب أطل برأسه من سيارة مجاورة لنا فى أحد شوارع لندن –: "لا تخافى.. لا توجد كلاب سيئة ولكن يوجد مربون سيئون للكلاب"، ثم أكمل كلامه قائلا لى "تماما مثل الأديان.. فلا يوجد دين لا يدعو للفضيلة أو مكارم الأخلاق ولكن معتنقى هذه الأديان هم من يسيئون لأديانهم". وبالرغم من الفروق الثقافية بيننا فإننى لم أفزع من مقارنته للأديان بالكلاب لسببين أولهما معرفتى بولع البريطانيين وتقديرهم الخاص للكلاب والثانى أن السائق أكمل مؤكدا أنه مسيحى متدين وقد أومأ إلى أن الناس تتجاوز مع الوقت الصور السلبية لبعض المؤسسات الدينية وأتباع دين بعينه ضاربا المثل بالكنيسة الكاثوليكية والتى – بحسب كلامه– مارست فظائع كثيرة ولكن

تم التسامح مع تاريخها مع مرور الوقت والنظر لها بمنتهى الاحترام. وقد خمنت أنه قد تكون فى إيمائته هذه مجاملة لى - بسبب حجابى وملامحى الشرق أوسطية - فربما أراد أن يعطينى الأمل أنه مع الوقت ستتحسن صورة المسلمين فى الغرب بعدما تأثرت سلبا لأسباب مختلفة ومتراكمة (قد يأتى مجال للحديث عنها تفصيلا يوما ما).

وبصرف النظر عن مدى دقة حديثه عن تاريخ الكنيسة الكاثوليكية أو مقارنتها بالتصورات عن المسلمين في الحياة اليومية بالغرب، فقد وجدت فى حديثه تشجيعا لى على اهتمام تنامى لدى للبحث فى وضع الأديان وأنماط التدين وتأكيدا على فرضية تتعلق باستمرار تشكيل الأديان لمجال مهم للنقاش وما يعكسه وضع الأديان - فى الثقافات المختلفة - من تصورات عن الفرد والمجتمع التى قد تتحرك فيه هذه الأديان أو تهمش أو يسود فيها تفسير بعينه أو... وفى السياق نفسه جاء تعليق السائق الأخير بعد وصولنا إلى نهاية رحلتنا ليلقى ضوءاً على ما يعرف بشخصنة الأديان -Personaliza tion of Religion) وذلك بأن يختار الفرد مفاهيم وممارسات من أديان مختلفة ليكون قائمته الدينية الخاصة) حيث فاجأنى قائلا: "إننى أؤمن بالكرما Karmaفأنا أثق أنه سيحدث لى خير طالما أقدمت على فعل الخير" والكرما هى مفهوم فى العديد من المعتقدات الهندوسية، والبوذية واليابانية. يزعم أتباع تلك المعتقدات أن الوجود دورة مستمرة من الموت والميلاد مرة أخرى. تذكر تعاليمهم بأن أحوال الشخص هى نتيجة لأعماله فى الحياة السابقة. وبالمثل، فإن

أفعال الناس الحالية تحدد مصيرهم مستقبلاً فى هذا العالم وفى السماء أيضا، ففى المحصلة النهائية، حياتنا الحالية هى نتاج ما فعلنا بالأمس وغداً سيكون نتاج ما نفعله اليوم".

هذه العودة للاهتمام بالدين تتجاوز نقاشى مع هذا السائق المثير للاهتمام، وهو ما توقف عنده المفكر والسياسى اللبنانى طارق مترى حين أشار بأن ظاهرتى عودة الدين والعولمة قد تزامنتا، ولم يمض على عمرهما غير عقدين، ويتساءل مترى: "هل هناك تأثير متبادل بين العولمة والصحوة الدينية؟ وهل هناك أسباب أدت إلى نشوء ظاهرة العولمة، وأسباب من نوع آخر أدت إلى الصحوة الدينية وشاءت الظروف وحدها أن تتزامن الظاهرتان؟" ولكن مترى يبدو أكثر تحديدا بشأن المجالات التى يمكن من خلالها دراسة التأثير المتبادل بين الظاهرتين، ويحدد مجالين:

الأول: هو الظواهر الدينية الجديدة التى لم تزدهر إلا بنمو ثورة الاتصالات، ويراها مرتبطة بنمط الاستهلاك الموحد فى العالم، حتى إن هناك عددا من علماء الاجتماع -على حد وصفه- يقولون بأن بعض الحركات الدينية، فى الغرب بخاصة، يتعامل معها الناس متبعين نفس النمط الذى يتعاملون من خلاله مع السلع الاستهلاكية.

أما المجال الثانى فهو: انتشار الأديان خارج معاقلها التاريخية، ويدلل بأمثلة واضحة "ففى جنيف مثلا، مدينة (كالفينوس) أحد زعماء الإصلاح البروتستانتى، صارت أكثرية سكانها كاثوليكية، والجدير بالذكر أن أكبر دير فى سويسرا هو دير بوذى وليس كاثوليكيا.

وإذا كان مترى يتحدث عن حجم التغيير الذى شهدته الخارطة الدينية فى العالم، فإن الباحث المغربى "حسن سرات" يتحدث فى مقاله بموقع "الجزيرة. نت" بعنوان: "عودة الأديان وتحولات الإيمان بالغرب" عن التقلبات من داخل الأديان الكبرى؛ إذ يرى أن الفردانية والعولة ساهمتا فى ظهور نزعات طائفية وأصولية داخل هذه الأديان الكبرى، وتحدث عن أفراد غربيين صاروا يلتمسون سبلا للتدين خاصة بهم يخوضون فيها تجارب "التحسس الروحى"، و"الترحال العقدى"، و"التجوال الطائفى" (مثل صديقنا البريطانى) بما دفع السوسيولوجى المتخصص فى الدين "إيف لامبير" إلى وصف هذه الظواهر بأنها "التدين خارج المضمار"، أى خارج مجاله، ويعلق سرات قائلا بأن هذا التدين ينتشر فى فرنسا وهولندا البلدين الأكثر علمانية فى أوروبا.

وقد يتفق البعض مع طارق مترى - وأنا أتفهم تماما مثل هذه الرؤية - بالنظر لعلاقة بين الإنترنت والدين كوجه آخر من أوجه ثقافة الاستهلاك والفردانية فللوهلة الأولى لا يمكن للإنترنت أن يحقق ذلك الشعور بالسكينة الذى يتسرب إلى النفس حينما يسند المرء رأسه - بعد أن يفرغ من صلاته - إلى عمود مسجد متأملا الآيات القرآنية التى كتبت بخط عربى على السقف ويراقب السحب - عبر النوافذ - تلاطفه وتخفف عنه.. أو الدفء الذى يشيعه الجلوس على أريكة فى داخل كنيسة حيث تتسرب أشعة الشمس لتضفى مظاهر الحياة على الأيقونات المسيحية الملونة..أو السكينة التى تنتاب اليهودى أو البوذى أو... حينما يصلى فى معبده.

لكنى أرى زرقة شاشة الكمبيوتر ووصلات الإنترنت تشف عن علاقة ما مع السماء، وأن الإنترنت بكل ما تمثله من رؤى وممارسات إشكالية يمكن استخدامها للكشف عن علاقات أتباع الأديان المختلفة بالسماء وفهمهم لذاتهم والآخرين عبر أدائهم على الإنترنت، وبالنسبة للبعض فقد تبدو دراسة الخطابات والممارسات الدينية المختلفة على الإنترنت مجرد فرع من دراسة محتوى وخصائص الإعلام الإلكترونى ولكن المسألة لا تقف بالنسبة لى عند هذا الحد، بل هى تشكل مدخلا لرصد وتحليل تقاطعات وتشابكات بين حقول معرفية مختلفة وهى بشكل أساسى تعيد أسئلة مركزية احتلت لعقود طويلة مساحات اهتمام لدى عدد كبير من الباحثين. ويتمحور أهم هذه الأسئلة حول: موضع الدين فى المجالين العام والخاص.. وما فرضته الحداثة من سياقات وأدوات دفعت بالدين إلى التجلى بأشكال بعينها وهو ما تباينت أمامه مواقف وتجارب المجتمعات المختلفة ما بين التبنى أحيانا أو الممانعة والمفاوضة فى أحيان أخرى... ثم ما أعيد طرحه من أسئلة حول أشكال وأدوار الدين فى واقع التشظى والتشعب الذى خلقته أجواء ما بعد الحداثة. وفى السياق نفسه يحسن الإشارة إلى ميل بعض الباحثين إلى اعتبار الإنترنت بلامركزيتها وشبكيتها ممثلا لما بعد الحداثة فى مقابل وسائل الإعلام التقليدى (الجماهيرى) التى تمثل فى مركزيتها وخطيتها مشروع الحداثة.

وبشكل مبدئى فقد واجه بعض الدارسين للخطابات والممارسات الدينية على الإنترنت مفارقة بحثية لافتة تمثلت فى النظر إلى الإنترنت والدين كمتناقضين، وهو أمر يتفق إلى حد بعيد مع مجمل الخبرة الغربية الحديثة والتى رأت أن الإنترنت تشكل تحدياً لأتباع الأديان المختلفة باعتبارها تدخل ضمن تطبيقات نظريات العلمنة التى تجسد علاقة عكسية بين عمليات التحديث (التكنولوجى والاجتماعى والاقتصادى) وأهمية الدين وموقعه فى المجتمع. ولكن مثل هذه التصورات حول موقع الدين فى المجتمعات الغربية – على وجه الخصوص– تتم مراجعتها وتأتى دراسات الإنترنت لتساهم بدور واضح فى هذا الشأن. فعبر الإنترنت يمكن ملاحظة إمكانية تجاوز الثنائيات الحدية التقليدية مثل مقدس/ علمانى أو متدين/ غير متدين، وتعد الإنترنت من الساحات الرئيسية التى ينتقى عبرها الأفراد طرقهم فى التعبير عن تدينهم بل ويغيرون هذه الطرق أحيانا.

والثابت لأى متابع أن القرن العشرين فاض بالحركات القومية والأيديولوجية التى كانت محركا أساسيًا لمسرح الأحداث فى القرن الماضى، أما الآن فقد بدأ البعض يرصد عودة الأديان وظواهر التدين كفاعل نشط ومؤثر فى حركات وخطابات مطلع القرن الحادى والعشرين.

ويظل تمثيل الدين على الإنترنت "الدين الافتراضى" وتعريفه محل تساؤل، وقد استعرض Patrick Maxwell محاولات التعريف المبكرة ففى ١٩٩٠ قدم تعريفًا يشمل كل تمثيل للدين على الإنترنت،

وعلى سبيل المثال فإن Brenda Brasher (2002) يعرف الأديان الافتراضية على أنها وجود للمؤسسات والأنشطة الدينية فى مساحة افتراضية. ويعتبر Dawson (2000) أيضا الدين الافتراضى هو محض حضور للمنظمات والمجموعات الدينية فى المساحة الافتراضية، وتناقش Anastasia Karaflogka (2002) أن للمنظمات والمجموعات حضور فى كل من المساحة الافتراضية والواقعية لتتطور المساحات الدينية الافتراضية فتأخذ شكل المواقع، والمدونات، والمنتديات والشبكات الدينية وكذلك المجموعات الإخبارية الدينية التى تزيد من أهمية الدين الافتراضى.

وربما يكون مصدر الحيرة فى التعريف هو طبيعة الإنترنت نفسها التى يرى عدد من المراقبين أنها ظاهرة ناشئة تتعدى خصائصها مجموع مكوناتها، فهى مكان خارج المكان المادى، ورغم طبيعتها غير المادية فإن عالمها حقيقى.

وتتناول الدراسة المنشورة التحدى الذى يواجهنا فى التعاطى مع عدد هائل من المواد والمنابر التى تمثل أصحاب الهويات الدينية المختلفة والذى ينطوى فى الوقت نفسه على فرصة مميزة نظرا لتنوع مستويات تحليل محتوى هذه المواد بدءاً بالأصوات الفردية على المدونات الإلكترونية ومرورا بحضور المؤسسات الدينية التقليدية على الإنترنت ووصولاً إلى تفاعلات المجتمعات الدينية المختلفة على الشبكة، ولا تتوقف فرص التحليل والاستكشاف البحثى عند هذا الحد، فتشير الدراسة إلى أهمية استخدام تحليل

المحتوى ونظريات الإعلام السائدة ولكنى تحاول التأكيد على أن القدرة التفسيرية الأبرز تكون للدراسات الأعمق التى توضع تفاصيل مواقف المتدينين من الإنترنت وممارستهم عبرها لتقدم منحنيات رفضهم للوسيلة، ثم القبول المحسوب، ثم ذلك الموقف الدال المركب القائم على إعادة تشكيل الوسيلة ثقافيا ودينيا لتلائم قناعاتهم كمستخدمين لها.

وأعتقد بأنه على الرغم من القدرة التفسيرية النسبية لهذا النوع الأخير من الدراسات يظل من المفتقد دراسة كيفية التأثير والتأثر بين المجتمعات المتدينة والإنترنت، واستكشاف إلى أى مدى تنتبه هذه الجماعات لطبيعة الوسيلة "الإعلامية " ولوجهها التسويقى والاستهلاكى وإلى العلاقة المتراكبة بين الإعلام والدين بشكل عام. كما تندر الدراسات المقارنة عبر الأديان المختلفة والمقاربة بين السياقات الفعلية والمتخيلة on/offline فعلى سبيل المثال تبدو شخصنة الدين Personalization of Religion باستخدام قائمة مفضلات من ديانات وفلسفات مختلفة مميزا للحياة الدينية فى الغرب بينما تبرز شكلانية أنماط التدين وقلة فاعليتها التنموية وطاقتها على التغيير مثار جدلٍ فى المجتمعات العربية والإسلامية، وتستوجب مناقشة هذه الفكرة "عودة الأديان" الواسعة المترامية المعانى والدلالات الاعتراف بأن تحديد درجة وشكل تأثيراتها على مجتمعات متباينة يعد أمرا مستعصيا، فالحديث عن الدين فى المجتمعات التى نشأت واستقرت فيها النماذج والممارسات العلمانية يختلف حتما عن مجتمعات أخرى

استعارت واستدعت النماذج العلمانية، ولكنها ولأسباب تاريخية وثقافية واجتماعية مختلفة لم تستقر فيها تلك النماذج بشكل كبير.

وكلها أبعاد تغرى المراقب المهتم بأن يبذل جهداً أكبر لفهم هذه الظواهر المركبة لنساهم جميعًا فى الوقوف عند العادى والمألوف لفك شفرته والتعرف على الفرص والتحديات التى يخلقها الفضاء الإلكترونى للأفراد والجماعات وخلق إدراك عام يتجاوز النظر لمظاهر التطور التكنولوجى باعتبارها مجرد أدوات وإدراك تأثيرها الحياتى على الأفراد والمجتمعات.

الفصل الأول
الطقوس: أن تكون الإنترنت روحانية

كأنها ولدت معه منذ بدء الخليقة.. تلك هى أشواق الإنسان إلى ذلك العالم المجهول الذى يتجاوز وجوده المادى، وتعامل الإنسان مع هذا الشعور الدائم بالقلق والاغتراب أحيانا بطرق متباينة عبر العصور من رسوم إنسان الكهف وأقنعته وقرابينه إلى السماء إلى استجابته لهداية البشرية عبر الوحى والأنبياء إلى تمرده واستقوائه والظن بأنه لا حاجة به إلى السماء. ليظل الدين إلى حد كبير – وخاصة من المنظور الغربى – معبرا عن العلاقة مع "العالم الروحى" المتجاوز. وقد تبنت الحضارة الغربية – فى هذا الشأن – منظوراً يبدو لأصحاب التجارب الحضارية والثقافية الأخرى كمنظور حدى عكسى بين الدين من جانب والعلوم الطبيعية والاجتماعية من جانب آخر، فالأول ينتمى إلى "الانتقال من (العالم الموضوعى) إلى (

العالم الميتافيزيقى الذاتى)" بينما الثانى وفى عملية عكسية هو "الانتقال من العالم الميتافيزيقى إلى العالم المادى"، وعليه فيمكن توقع النظر إلى التكنولوجيا باعتبارها أداة تنتمى لذلك العالم المادى الموضوعى بخروجها من رحم المعادلات الحسابية والرقمية. ولم يكن من المستغرب أن تعبر التكنولوجيا ومنتجاتها عن الحداثة المادية الوظيفية التى تتجاهل ما هو روحانى وغير عقلانى إن لم تكن تخاصمه.

الغريب أن هذه التصنيفات الجامدة للظواهر تبدو غير حقيقية وغير مجدية. "فالتكنولوجى فى مواجهة الروحانى"– مثلا– تتحداه ظاهرة الإنترنت (أو الفضاء الافتراضى) وما شهدته من تفاعل للأديان والروحانيات. وبهذا نجد أنفسنا أمام تجربة إنسانية مركبة تستحق التأمل، وهو تأمل لا يجب أن يقتصر – فى رأيى – على المتخصصين أو أصحاب الاهتمام، بل على أى ممن يهتمون بفهم جوانب من حياتهم اليومية التى أصبحت تكنولوجيا الإنترنت حاضرة فيها وصارت تعكس بعضا من معتقداتهم وممارستهم الدينية بصورة أو بأخرى. لقد لفتت هذه المفارقة نظر عدد من الباحثين فعلى الرغم "من أن الفضاء الافتراضى يعد مادياً وصناعياً تماما " فهم يرونه فى الوقت ذاته "انتقال إلى "العالم الآخر" الذى لا يملك وجوداً موضوعياً والذى يستدعى مستوى آخر إلى نطاق التجربة الإنسانية"، وتطور الأمر إلى أن نظر البعض للإنترنت باعتبارها نوعا من التجلى الدينى الذى يملك ملامح دنيوية وأخرى

متعدية (ميتافيزيقية) بشكل متزامن، وقوى من ذلك الاتجاه ما وصف بالعالم البديل أو الثانوى على الفضاء الافتراضى "الذى يحاول أن ينقل الحس الدينى بالكامل متضمنا المعتقدات الدينية، الطقوس، الأفكار..."

الإنترنت روحانية بطبعها؟

وربما يندهش القارئ إذا ما تعرف على تصور لا يرى فى التكنولوجيا وسيطا مؤهلا لحمل ونقل الرموز والخطابات الروحانية والدينية فقط بل إنه يرى فيها درجة من التماهى بينها وبين المقدس الدينى. لقد نظر البعض للتكنولوجيا كحلم للإنسان يسمح له بتجاوز حدوده المادية والمكانية ورأوا فى ذلك بعدا روحانيا، ومن بين هؤلاء كان التكنولوجى Michel Bauwes الذى جادل فى كون التكنولوجيا تحمل "عنصرا روحانيا لأنها جزء من بحث إنسانى أصيل عن السمو والتجاوز، وأن مثل هذا السمو يعبر عن نفسه بشكل مادى وروحانى".

و ينضم له Hans Morvac الذى يرى بأن التكنولوجيا تعد بتجاوز الجسد وأننا فى المستقبل قد "نتحرر من عبودية الجسد المادى"، وكذلك خبير الروبوتات Jaron Lanier الذى يرى فى ذلك شوقاً لإبادة الألم والمحدودية بل وحتى الموت بالرغبة وبالبحث عن "الخلود المتخيل" وتعبر N. Katherine Hayles عن فانتازيا هجر الجسد بقولها "ربما منذ العصور الوسطى كان خيال ترك الجسد منتشراً بين الناس، ولكنه لم يكن مرتبطاً إلى هذا الحد بتكنولوجيا متاحة».

و بالرغم من أن البعض مثل Stephen Whittaker قد لمس تناقضا يكمن وراء هذه الأحلام حيث رأى أن كثيرين ممن يتوقون للهرب من حدود الجسد يتشبثون بفكرة التجسيد المادى وعلق بقوله بأن المتحمس التقليدى للإنترنت "شخص يرغب في التجسد وعدمه فى نفس الوقت..." وبالرغم من ذلك فإن بعض الباحثين لم يتعجبوا من هذا التصور فقد رأوا فيما يعطى الإنترنت من "مكون تجريبى ورمزى" إمكانات روحية تفتح بابا للخيال الإنسانى. وفى التعريف الأكثر إيجازاً يرى William Gibson بأن الإنترنت يمكن اعتبارها "هلوسة توافقية" – وذلك فى إشارة إلى كونه عالماً متخيلاً تم التوافق على طبيعته وخصائصه – كل ذلك يؤهل الإنترنت لتعمل كمساحة للانخراط فى النشاط الروحانى. وحتى لا نتمادى فى استخدام مصطلح روحانى دون محاولة لتعريفه يمكننا أن نلجأ لـ Jones Cheslyn & Geoffrey Wainright حيث كانا أكثر إيجازا بقولهما أن الروحانية تشير إلى البحث الإنسانى عن "معنى ذو مغزى أو أهمية".

تشرح لنا هذا الأمر أكثر Margaret Wertheim عبر تعقبها لتاريخ التعريفات الغربية لمفهوم " المكان/ المساحة» space وكيف يمكن أن يحمل هذا المفهوم معلومات ويعكس هموماً ثقافية وخاصة دينية وتقول Wer-theim إن هذا الأمر امتد منذ جحيم دانتى إلى الإنترنت، وبالنسبة للمتدينين فإن "المكان" هو أمر غير متجانس وهو يقسم إلى مساحة "مدنسة " وأخرى "مقدسة" وفى هذا اتصال مع المفاهيم الغربية – استنادا إلى

التراث المسيحى والثقافة اليونانية - حيث "الجسد" و"الروح" يتم رؤيتهما كفضائين منفصلين. ولهذا فإن Wertheim تخلص إلى أن الإنترنت كمساحة لا مادية جديدة تعد وسيلة لا تقاوم لمن لديهم أشواق روحانية ودينية. وعموما فقد استدعى هذا التصور "الرؤية المسيحية للمدينة السماوية كحلم للتجاوز (السمو)... تجاوز الفوضى والبؤس الأرضى، وفوق كل شيء تجاوز حدود الجسد"، و فى هذا السياق تم مناقشة فكرة أن الفضاء التخيلى هو مساحة غير مادية تسمح للناس بأن يعيدوا تواصلهم مع الأفكار الروحانية والعالم اللامادى.

لقد انخرط البعض فى مثل هذه التصورات للدرجة التى دفعت بـ Jennifer Cobb فى Cybergrace (1998) لمحاولة عرض " لاهوت للإنترنت " حيث كانت تناقش أن الإنترنت تيسر عملية أو رحلة مقدسة تقودنا على طريق باتجاه ما هو إلهى، وجاء ضمن هذا الاتجاه القول بأن الانخراط فى الإنترنت يصبح وسيلة مساعدة لتقدم الإنسانية الروحانى، فالوجود على الشبكة سيربط بما هو روحانى، وفى هذا الإطار تم تصوير ما تحدثت عنه Werthiemمن مساحة مقدسة بأن بداخل الأسلاك والتوصيلات تتخلق قناة مقدسة على الإنترنت، ولهذا فإن الاستخدام الدينى للإنترنت يرى كشىء طبيعى وكأمر متوقع.

وهناك رؤى أقل تماديا فى وصف الإنترنت بالمقدس، فتشير Heidi Campbelll فى دراستها عن "أن يكون الإنترنت روحانيا" أو Spiri-tualizing the Internet أن هناك خطاب لا يرى الإنترنت مساحة مقدسة بطبيعتها وإنما يمكن أن يكون كذلك "عبر تصميم التكنولوجيا

بطرق مميزة أو عبر أداء الطقوس التى تسمح بتحويلها إلى مكان يمكن أن تتلاقى فيه أنت والروحانية، فالروحانية ليست جزءاً لا يتجزأ من تكنولوجيا الإنترنت ولكن يمكن أن تخلق وتبنى بوعى".

وتصف Campbelll من يتبنون هذا الخطاب بأنهم " الذين يوظفون الإنترنت لتخلق بيئات مقدسة مثل الكنائس أو المعابد أو الأضرحة المتخيلة، ويصممون بوعى المواقع الإلكترونية التى تعكس الأماكن الدينية التقليدية والأيقونات التى تعطى المستخدم الانطباع بأنه قد دخل إلى مساحة مقدسة".

وتشير Campbelll إلى اتجاه ثالث يتخلص إلى حد كبير من رؤية الإنترنت كفضاء روحانى بل يراها "أداة تكنولوجية تعتمد طرق استخدامها على الدوافع والرغبات للمستخدمين والمصممين، فهى يمكن أن تستخدم لأغراض دينية بنفس الصورة التى يمكن بها استخدامها لأغراض معلوماتية أو لأى أنشطة أخرى...هذا الخطاب يلفت النظر إلى مهام وأنشطة بعينها يمكن ممارستها على الإنترنت حتى تفى بالأهداف الدينية التقليدية مثل الشهادة، الوعظ، الصلاة والاعتراف، كما يرى أن الإنترنت يجب أن تستخدم لتعزيز جوانب مختلفة من الدين".

العلم والدين: ما بين التوتر والاندماج

وعموما وبصرف النظر عن كون الإنترنت روحانية فى ذاته أو يمكن استغلالها فى هذا الشأن فإن Margaret Wertheim تثير قضية أعمق حينما تحدثت عن أن التواصل ما بين المادى والروحى

غالبا ما أسكتته الرؤية الكونية الثنائية للعلم الغربى، فتقول بأن الجاذبية الروحانية للإنترنت تتمثل بدقة فى هذا التناقض، إنها إعادة طرح للفكرة القديمة عن السماء (الجنة) ولكن بطريقة علمانية وفى شكل تكنولوجى مقبول.

إن مثل هذا النقاش يعكس التوتر الذى شهدته العلاقة بين العلم والدين فى ظل المفهوم الغربى لكل منهما، وقد أرسى Ian G. Barbour أنواعاً أربعة من العلاقات بين العلم والدين: الصراع، الاستقلال، الحوار والاندماج. ويقدم Patrick Maxwell تفصيلاً لهذه العلاقات

ففى فئة "الصراع" ينظر للعلم والدين كعدوين من الجانبين الدينى والعلمى، ومثال على ذلك مثل هذه المجموعات التى تضم الإنجيليين الحرفيين الذين يرون أن الإيمان الدينى غير متوافق مع نظرية التطور من جانب والعلماء الجماليين الذين يدافعون عن الفلسفة المادية ويرفضون أى مكان للتوحيد من جانب آخر.

ولكن هذه الرؤية الصراعية التى يبدو من خلالها كما لو كان العلم كمكون للحداثة الغربية قد أزاح الدين تجد من يجادل بشأنها، ففى مقال له بعنوان: "سيسيولوجيا الأديان الرقمية" يقول الباحث المغربى "عبد النور إدريس": إن "العامل الأول فى أى إيمان هو الاعتقاد بالخلاص من خلال الإيمان، ومن هنا يمكننا أن نفهم فكرة عدم استطاعة العلم محو الدين" ويقدم "إدريس" حقل تكنولوجيا الاتصالات الحديثة كدليل على ما أصبح يقوم به العلم من دور فى ترسيخ الدين فيقول: "فللعلم أن يقلل من وظائف الدين الإدراكية لكنه

لا يستطيع الحيلولة دون استمرار الأفراد فى التحرك نحو تلك الوظائف بدافع من إيمانهم الدينى، وهذا ما تحقق على يد الإنترنت حيث أصبح "الإيمان" حقًا على التصرف، وأصبح المعطى الدينى حاضرا فى أى زمان ومكان ولم تعد الكنيسة أو المسجد أو المعبد تملك حق بثه والتحكم فى كيفية ظهوره إلى المتدينين ولا أين ومتى يبوح الدين بأسراره حتى بات ما نراه عبر الإنترنت يُعد اختراقا لقدسية الرموز الدينية التى اختير لها سابقا متى تظهر لتحدث ذلك التأثير وذلك الشعور بالاطمئنان والراحة النفسية".

ولا يكتفى "إدريس" بذكر الأثر الذى يتركه الإنترنت على المؤسسات الدينية التقليدية بل و"يعتبر الدين بدعم من الإنترنت حقلا معلوماتيا سيعمل على خلق كيانه الرمزى الخاص، وسينتقل الدين من اعتباره ذى أهمية اجتماعية ثانوية إلى خلخلة المعتقد الفلسفى الذى اطمأن إلى النتيجة التى كانت تؤطر هذا التقليص من دور الدين فى المجتمع باختفائه التدريجى أو تصفيته فى فترة زمنية محددة متى انبثق المجتمع المعاصر. أما اليوم فقد أثبت العصر الرقمى خطأ توقعات كارل ماركس فيما يخص الحكم بالنهاية الوشيكة للدين باعتباره أفيونا للمجتمع".

وبالعودة مرة أخرى لمستويات العلاقات التى تحدث عنها Bar-bour فكما أشرنا فإن الصراع ليس هو شكل العلاقة الوحيد بين العلم والدين، فهناك الاستقلال حيث ينظر لكل من قيمة العلم والدين بتقدير ولكن كلاً منهما فى جانب مستقل عن الآخر، "فالعلم يسأل ويعتمد على المعلومات العامة الموضوعية بينما يبحث الدين عن القيم

والأطر وعن معنى للحياة الشخصية". ويقول Barbour إن كلا من فئتى الصراع أو الاستقلال غير مساعدين على الحوار، وكلاهما يتجه للحفاظ على ما لا يحافظ عليه غيره، بينما تجعل فئة الحوار كل من العلم والدين يمدان بعضهما برموز مهمة، فالعلم يمكن أن يساهم فى وصف المفاهيم الدينية وفى الجانب الآخر يمكن للدين أن يكون مفيدا لوصف المسائل الميتافيزيقية وطرح أسئلة على العلم.

أما الفئة الأخيرة وهى "الاندماج" فيقوم أيضا على الحوار ولكنه يذهب أبعد للعمل بشكل منظم على الدمج بين العلم والدين، "فاللاهوت الطبيعى ينظر إلى الإلهى فى العالم الطبيعى، بينما لاهوتى الطبيعة يناقشون أن بعض المعتقدات الدينية تتلاءم مع أو يمكن أن يعاد تشكيلها فى ضوء نظريات علمية بعينها..."

ما بين التنمية الروحية والتكنولوجية

ولكن هذا الاتجاه لرؤية الامتزاج بين التكنولوجيا والروحانية أو حتى العلاقة الطردية بين التنمية الروحية والتنمية التكنولوجية التى تحدث عنها Bauwens لا يقابل بارتياح واسترخاء كبيرين خاصة فى أوساط رجال الدين.

وفى مثال واضح على التباين بين هذين المنطقين نجد محاورة بعنوان: "حوار حول المقدس المتخيل والعلاقة بين التنمية التكنولوجية والروحية" بين Michel Bauwens وFather Vincent Rossi حول فكرة وجود ما يعرف بالإنترنت المقدس أو تلك العلاقة بين التنمية الروحية والتكنولوجية.

لقد أشار Bauwens فى مساهمته إلى ما تعطيه لنا التكنولوجيا من قوى فوق بشرية تجعلنا أكثر قدرة على السيطرة على ما حولنا ولكنه فى الوقت نفسه نوه للآثار السلبية للتكنولوجيا على جودة الحياة ووصف الزيادة فى سرعة الحياة بأنها واحدة من هذه السلبيات، وهذه الأجواء تفسر لنا، وفقا لـ Bauwensرواج التقنيات الروحية والنفسية خاصة فى المجتمعات الغربية مثل التأمل والاسترخاء والتركيز واليوغا التى أصبحت من أنماط الحياة المستقرة لمواجهة الإجهاد الناتج عن الاستخدام المفرط للتكنولوجيا. ولهذه الأسباب نفسها يرى Bauwens أن "المهمة المركزية فى هذا العهد هى جعل التكنولوجيا روحانية بالاستفادة من التقنيات النفسية الصالحة من داخل التقاليد الدينية وتطهير هذه التقاليد من الطبقات الأسطورية الحرفية، أو بكلمات أخرى وبشكل أكثر اتساعا الحاجة إلى روحنة العقلانية وعقلنة الروحانية وفقط حين يتحقق ذلك يمكننا الحديث عن إنترنت مقدس بشكل واقعى".

وبإزاء إسهام Bauwens يأتى رد Vicent Rossi معبرا عن حذر وحساسية شديدة وهو رد متأمل ورغم تشاؤمه لم يخلُ من خفة ظل ومن طرح أسئلة حقيقية أظنها تفتح مجالا لتطوير الأفكار المتعلقة بمسألة حضور الأديان والروحانيات على الإنترنت بشكل عام، فيقول Fr. Vincent Rossi: "الإسهام الوحيد الذى يمكننى إضافته للنقاش هو الحديث من داخل المدرسة الروحية التى أنتمى لها والتى انخرطت فيها بشدة لسنوات عديدة. . المسيحية الشرقية

الأرثوذكسية. .. حيث الصرامة التى لا تعنى مجرد تجنب الدنس المادى أو أنها فقط صرامة روحانية ولكنها حالة روحانية مركبة تتألف من تركيز شديد وفطنة أخلاقية واتزان نفسى وصفاء ذهنى وصمت داخلى. أظن أنه من الحكمة الاقتراب من مفهوم "الإنترنت المقدس" بحذر، وفى البداية يجب أن نتفق على تعريف "الروحانى" و"المقدس"، فهما ليسا مرادفين لبعضهما "فليس كل ما يلمع ذهبا" وليست كل الإشارات الروحانية تشير إلى وجود ما هو مقدس، فالروح مصطلح غامض، كما أن هناك أرواحاً شريرة.

وأنا لا أنكر أن هناك علاقة بين التكنولوجيا والروحانية، وذلك ببساطة لأن كليهما جانبان من عناصر ومنتجات وثمار الطبيعة الإنسانية.

إن تمييز التكنولوجيا من الروحانية، والتقنية التكنولوجية من المنهج الروحانى والروحانية يسمح لنا بفهم الافتراضات الأساسية المتعلقة بالإنترنت المقدس.

ما يمكننا بل ما يجب علينا جعله روحانيا هو استخدامات التكنولوجيا ودوافع هذه الاستخدامات وبكلمات أخرى ما يحتاج لجعله روحانيا هو البشر ومجتمعاتهم وثقافاتهم.

والتنمية الروحانية ليست شرطا للتنمية التكنولوجية، فالتكنولجيا يمكن تنميتها وفقا لعقلانيتها وقوتها التى تصدر من كونها واقعية، ولكن التنمية الروحية ضرورة حيوية للاستخدام المناسب للتكنولوجيا. التنمية الروحانية ضرورة لتنمية البصيرة والصرامة حتى نضع حدا لوقف تنمية ما لا نتحكم فيه قبل طغيانه.

فبدرجة معينة، تعد التخيلية virtuality نوعاً من نزع الإنسانية، فكل مستوى من التنمية التكنولوجية يسبب نوعا من الإزالة (لنزع شيء) من عالمنا الطبيعي.. من أجسامنا.. ومن أنفسنا.

فنحن لا نمتلك السحر دون دفع الثمن، فالساحر دائما ما يتقاضى ثمنا... وبالنسبة للتكنولوجيا... فكل قوة أو امتداد للحواس الإنسانية بشكل صناعي أو متخيل يميل لخلق عجز أو فقدان فى المجال الإنسانى الطبيعى والواقعى.

التكنولجيا يمكن أن تنشط الوعى الروحانى ولكن هذا ما تفعله أيضا الحرب، المرض، الكوارث الطبيعية، لكمة فى الفم أو إشارة عن الموت. العلاقة بين التنمية الروحانية والتكنولوجية لا تستمر فهى علاقة ساذجة ومتفائلة بشكل غير واقعى أو حقيقى، الإنترنت تعطى فرصًا للتأمل الروحانى دون شك، ولكن كذلك الجلوس فى إشارة مرور وهى ظاهرة خلقتها أيضًا التنمية التكنولوجية.

والسؤال الآن هل "الإنترنت المقدس موجود"؟ والإجابة هى لا. المقدس موجود والتكنولوجيا التى تنتج الإنترنت موجودة، والحقيقة أنه من المحتمل استخدام تكنولوجيا الإنترنت للتواصل بالأفكار والأسس الروحانية، وأن خلق ما يمكن تسميته بـ "المساحات المقدسة" على الإنترنت لا تبرر تسمية هذه الاحتمالات "الإنترنت المقدس". الأماكن المقدسة لا تكون مقدسة تلقائيا على الإنترنت. .. المقدس يعرف ويختبر فى علاقة بين العبد وربه".

انتهى كلام Fr. Vincent Rossi وهو يشارك فى هواجسه أصواتاً مختلفة من ناقدى الحداثة والعلمانية والتكنولوجيا لأسباب ثقافية أو اجتماعية أو سياسية ولكن وبصرف النظر عن منطقية هذه الآراء المتباينة حول تماهى أو تنافر التكنولوجيا والروحانية فإن الواقع وممارسات البشر أكثر ديناميكية وتركيبا من ذلك الإيقاع التأملى للعلماء والمنظرين.. ولا يمكن تصور تجاهل التكنولوجيا حتى من قبل المتدينين، فالتكنولوجيا منتج حضارى وكما يقول على عزت بيجوفيتش فى كتابه المهم "الاسلام بين الشرق والغرب": "الحضارة لا يمكن هزيمتها ولكن يمكن إسقاط الهالة التى حولها لأنسنة هذا العالم وتلك هى مهمة الثقافة».

التشكيل الاجتماعى للتكنولوجيا

وربما يكون هذا الكلام بعينه ما خلصت له الدراسات والأبحاث حول التكييف الثقافى للأداة التكنولوجية لتتناسب مع استخدام المتدينين لها. وينظر للتشكيل الاجتماعى للتكنولوجيا على أنه مساحة بحثية تربط بين دراسات العلوم والتكنولوجيا، وسيسيولوجيا التكنولوجيا ودراسات الإعلام وجميعها يسعى لاختبار التغير التكنولوجى واجتهادات المستخدمين كعمليات اجتماعية.

ويظل الدين يلعب دورا مفتاحيا فى البناء الاجتماعى للمساحات الثقافية. والدين هنا يشير إلى "نظم المعتقدات الروحانية"، وبالنسبة لعدد كبير من المجموعات الدينية المحافظة فإن الممارسة الدينية ونمط الحياة يشكلهم الرفض للحداثة والذى

يرى كما لو كان علمانياً، ولكن وكما أشرنا سابقا هناك عملية مركبة من التفاوض تعتمد على تقاليد ومعتقدات المجتمع الدينى، وهى يمكن أن تضم إجراء طقوس بعينها لتطهير التكنولوجيا للاستخدام الدينى أو إصدار بيانات رسمية تجعل التكنولوجيا مقبولة لدى الجماعة الدينية.

وتقول Heidi Campbel بأن جعل الإنترنت روحانيا (روحنة الإنترنت) تعنى أن نراها كمساحة تتناسب والانخراط الدينى بحيث تسمح للمستخدمين بممارسة نشاطهم على الإنترنت وضبطه وفقا لإيقاع حياتهم الدينية، "وجعل الإنترنت روحانيًا يستدعى أيضا إصدار أحكام دينية وعرضها باستخدام اللغة التى يمكن أن تصل وتكون مقبولة لدى المجتمعات الدينية، وهذا يتطلب تقديم الإنترنت عبر رواية محددة المعنى بحيث تضع الإنترنت فى سياق إمكانية وكيفية استخدام المتدينين له".

وهذه العملية التفاوضية لها صلة بما يعرف بـ "الاتجاه الترويضى/ التدجينى". والاهتمام الرئيسى لهذا الاتجاه هو اعتبار الكيفية التى يتم بها تبنى التكنولوجيا فى المجال الاجتماعى، فينظر للتكنولوجيا على أنها انخرطت فى الحياة اليومية – خاصة فى الحياة المنزلية – حتى تعمل وتتفاعل. .. ولهذا فإن التكنولوجيا يتم تثقيفها من خلال مستخدميها، والتكنولوجيا يمكن تدجينها ليس فقط لأسباب اجتماعية بل لأسباب دينية أيضاً.

الإنترنت بنكهات المتدينين المتعددة

وأخيراً يمكننا الآن النظر مباشرة وبشكل ملموس فى أنماط وصنوف حضور المتدينين والأديان على الإنترنت بعد أن ناقشنا التصورات والمفاهيم الاساسية التى تمهد لهذا الشأن.

ووفقا لـ Patrick Maxwell فى Virtual Religion in Context إن "مما يعقد الامور أن بعضا من هذه التقاليد الدينية تأتى ضمن تنوع من نكهات واتجاهات مختلفة: الأرثوذكسى المتطرف، المحافظ، الليبرالى، الراديكالى، الما بعد حداثي...، والبعض من هذه الاتجاهات قد يكون أكثر ملاءمة للإنترنت من غيره." ويضيف Maxwell أن البعض ممن لديهم اهتمام بالشأن الدينى يكونون على الإنترنت إما لأسباب أكاديمية أو معلوماتية، بينما آخرون يهتمون بالعلاقات العامة والبروباجندا والتبشير (أو الهجوم العدائى) ومازال هناك آخرون يحاولون أن يمارسوا دينهم بشكل ملتزم. .. ولا يمكن تصنيف الخطاب الدينى على الإنترنت بمصطلحات جامدة وفاصلة وحدية ولكن كترتيبات مائعة تتمازج فى طيف واسع، وهو يشير إلى أن أكثر أنواع الأنشطة الدينية شيوعا على الإنترنت يضم البحث عن المعلومات الدينية على الإنترنت، الطقوس والتعبد على الإنترنت مثل الصلاة الإلكترونية، الحج التخيلى و غيرها من طقوس (مما سيأتى وصفه لاحقا) أنشطة التبشير على الإنترنت، تكوين مجتمعات الإنترنت الدينية، وهو يتفق مع ما أكده تقرير Pew: Faith Online (2004) من أن البحث وراء المحتوى الدينى يعد من أبرز الأنشطة الإلكترونية الدينية.

و لعل الكثيرين منا سيرون فى جمع المعلومات والمتابعة الدورية أشد الاستخدامات الروتينية والمفهومة على الإنترنت سواء لأغراض دينية أو لغيرها. ولكن Scott Thumma يضفى بعدا قيميا وروحانيا مميزا على هذا الروتين فهو يرى أن اكتساب معلومات جديدة – بشكل عام – عن عالمنا الداخلى والخارجى وعن حقائقنا المادية والتاريخية يمكن أن يأتى " كنتيجة غير مقصودة للانخراط فى أى نظام روحانى، سواء كان صياما أو سيراً فى متاهة أو المشاركة فى تفكر أو تأمل"، وبشكل مباشر فهو يرى أن الإنترنت "يمكن أن يثرى المؤمنين عبر جعلهم معلوماتيين" ويعطى للأمر بعدا أكثر سموا حين يقول: "إذا كانت إرادة الله تعمل عبر الأحداث الأرضية، وبالتالى كلما زدنا معلومات سنكون أفضل فى الاستجابة لأحداث الله على الأرض." وبحسبه فقد كان اللاهوتى المسيحى Karl Barth هو من اقترح أن على معتنقى المسيحية "أن يحملوا الإنجيل فى يد والصحيفة فى اليد الأخرى". والمكافئ لصحيفة Barth فى الثلاثينيات وفقا لـ Thumma هى الإنترنت" فهو يمدنا بمكتبة منزلية هائلة وبوصول للمصادر الدينية".

وأرى فى كلام Thumma تشابها مع ما طرحه العالم المسلم د/ يوسف القرضاوى فى نهاية التسعينات من أن الإنترنت هو "جهاد العصر" وأنه يساعد المسلمين – على تنوع خلفياتهم – على اكتشاف العالم ويساعد غير المسلمين على اكتشاف الإسلام، وهو تقريبا ما يؤكد عليه Thumma حين يقول: "إن وفرة المواد يمكن أن

تمكننا من تأمل المعلومات عن أنفسنا، والتعدد الواسع للفكر الدينى هو ما جعل منا مسيحيين معاصرين. وبتوفيره لهذه المعلومات عند أطراف أصابعنا فإنه يوازى النظم الروحانية، وفى استعارة، ولكن بطريقة ملموسة، الإنترنت يوحدنا كأعضاء فى مجتمع واحد يمتد عبر المساحات المؤقتة، وعبر المواقع المختلفة للطوائف المختلفة فإننا نتواصل مع كل مستوى من المنظمات – من بيانات القساوسة إلى البرامج الأسقفية لجدول أنشطة التجمعات".

و يضفى Thummaهالة من القدسية على الفعل حين يصف أننا "حينما نترك الإنترنت فى الثالثة صباحا فإننا لا نستلقى فى السرير وحدنا فليس هناك مثل تصفح الإنترنت حتى لو كان سطحيا فهو يغير من رؤيتنا للحقائق، ويخبرنا عن الأحداث والمعلومات التى تتجاوز سياقنا المباشر. إنها تربطنا بمجتمع يتجاوز الوقت والمكان وتوسع إدراكنا للعالم وللآخرين ولله"

عودة "المساحة المقدسة"

تعيدنا فكرة ممارسة الشعائر والطقوس الدينية على الإنترنت للرؤية القائلة بالنظر إلى الفضاء التخيلى كمساحة مقدسة وبالتالى كمساحة للتعبد، وتشكل الكنيسة والمعابد على الإنترنت مصادر للعبادة الدينية، مثل البريد الإلكترونى والقراءات الدينية وإنشاء أرشيفات الخطب الدينية بالصوت والفيديو، وخدمات النشرات التى تسمح للناس بإرسال أسئلتهم الروحانية وطلبات الصلاة، والمعابد والكاتدرائيات على الإنترنت غالبا ما تكون مواقع إلكترونية صممت

باستخدام لغة وصور للمبانى التقليدية لدور العبادة لتمد الزوار بإطار لتصفحه، وكما يقول Lin Collette فى Cyberspace: the New Frontier for Religion بالنسبة "للمبانى المؤمنين أصبحت الإنترنت مكاناً حيث يمكن أن يجدوا فيها الله أو على الأقل عباده".

/0\ أى رفع الأيدى لشكر الله

يمكن أن تقود مساحات العبادة على الإنترنت إلى تبنى أو تعديل الأفعال الدينية بطرق مميزة. فالمجموعات المسيحية تستخدم الإنترنت لتسهيل الاجتماع للصلاة باستخدام غرف الدردشة ويتجمع الأفراد فى لقاءات على الإنترنت عبر قنوات مختلفة تحدد كأماكن للقاءات الدينية وتبادل الصلوات بينهم وبين الآخرين. ووفقا لـ Heidi campbel فى دراستها المميزة Spritualizing the Interent فإن الملاحظة الممتدة لمجموعات ممارسة الطقوس توضح اجتهادهم فى استخدام لغة رمزية للتواصل عبر المحتوى الروحانى، مثل /0\ رفع الأيدى لشكر الرب. وفى دراسة مبكرة (فى عام ١٩٩٨) بعنوان "The Sacred and the Virtual Religion in Multi-User Re-ality" قام بها Ralph Schroeder &Heather Noel لغرفة صلاة فى بيئة متخيلة لأكثر من مستخدم وجد أن "اللقاء للصلاة فى العالم التخيلى لا يمدنا بنفس نوعية الخبرة الدينية مثل القداس الكنسى التقليدى، ولكنها يعيد إنتاج بعض من ملامح القداس الواقعى بشكل مبتكر".

وتستمر Campbel فى التعرض لأمثلة كثيرة تدلل على أن الإنترنت أصبحت مكانا للتعبد، فهى تعتبر أن الكثير من المجموعات الدينية صممت بوعى أماكن للعبادة حاولت من خلالها أن تعيد خلق أماكن تقليدية للعبادة لتعيش هذه الخبرة فى بيئة رقمية. والمثال الشائع فى المسيحية فى هذا الشأن هو "الكنيسة على الإنترنت" والتى يشار لها باعتبارها الكنيسة بدون حوائط. والأمثلة تتضمن مثالاً هو الأكثر اقتباسا "أول كنيسة على الإنترنت" وهى كنيسة «المغفلون» church of fools وهى تسمية قد تبدو مستغربة لكنها مستوحاة من كتابات Saint Paul و غيره من رجال الدين المسيحى الذين تحدثوا عن توظيف السلوك غير التقليدى و تحدى المعايير المتعارف عليها لاكتشاف الطريق إلى الله)، و قد صممت لتكون أول كنيسة بريطانية ثلاثية الأبعاد على الإنترنت، وخلال فترة تجريبية استمرت ٣ أشهر فى عام ٢٠٠٤ تم عقد القداس الأسبوعى للكنيسة فى بيئة متعددة الوسائط، وتمت المشاركة عبر الـ Avatar أفاتار لغناء الترانيم والتواصل بشكل متزامن مع هؤلاء الذين سجلوا لدخول الكنيسة، وفى غضون ال ٢٤ ساعة الأولى من عمل الكنيسة على الإنترنت زارها ٤١٠٠٠ زائر وكان هذا العدد اللافت – كما تؤكد -Camp bell– مثارا لمناقشة الأمر فى الإعلام الدولى والحديث حول أثر الكنيسة في الإنترنت وأثر الإنترنت في المؤسسات الدينية التقليدية.

الكنيسة المتخيلة بلا جدران

ويسوق لنا "عبد النور إدريس" مزيدا من الأمثلة فى هذا الصدد حيث يقول: "لقد أصبحت الصلاة تُبثُّ على شبكة الإنترنت ويمكن المشاركة فيها دون الانتقال إلى أماكن العبادة ذاتها، فقد مكّنت مؤسسة لوريس للاتصالات أتباع الديانة المسيحية من أن يتابعوا عبر شاشة ضخمة من خلال كاميرا ويبكام حفلا دينيا بمناسبة نهاية سنة ٢٠٠٦، كما قام الأتباع بتقديم واجب الصلاة والمشاركة فيها بإرسالهم بريدا إلكترونيا يُبلِّغون فيه المؤسسة الدينية المتلقية بأنهم تابعوا الصلاة"..

ويتفق هنا على أن المجموعات الدينية – سواء تقليدية أو بديلة – قد رأت بالإجماع تقريبا أن الإنترنت مكان يسمح عبره بنمو واستمرار نشاطهم، فتقول Lin Collette فى مقالها Cyber-space: the New Frontier for Religion إن الكنائس والأفراد قد أسسوا مواقع كرست لنشر الخطب والدروس من أديان وعقائد مختلفة للمؤمنين فى شكل نصوص وملفات صوتية، بل تبث بعض المنظمات، مثل الفاتيكان، قداسها على الهواء عبر الإنترنت، وهناك مواقع أخرى أقل تقنية تعرض تسجيلا لهذه الخدمات. ووفقا لها فهناك موقع إسلامى وصفته بالمهم هو islamicity كرس لنشر الأفكار الإسلامية فى العالم.

وفى إشارة إلى تجاوز السلطة الدينية التقليدية.تشير Collette إلى أن الكنيسة المتخيلة Remnant أنشئت للمسيحيين الذين لا

يتبعون كنيسة بعينها والكنيسة المتخيلة تسعى لهؤلاء الذى هجروا الكنائس التى تعوق مسيرتهم مع المسيح وقد تأسست هذه الكنيسة فى هاواى حيث تبدو جاذبة للمسيحيين المحافظين فهى توفر لهم غرف دردشة ومراسم وخطباً.

ومن منظور شخصى عملى تعرض Collette لشهادة بعض المستخدمين مثل Kate O'Donnell التى تعتمد على التعبد على الإنترنت بدلا من الحضور للكنيسة. و Kate هى عاملة رعاية صحية قد يمنعها عدد ساعات عملها من الزيارات المنتظمة للكنيسة. وتقول Kate إنها باستخدامها للمواقع يمكنها قراءة الدروس الدينية ولقاء المؤمنيين الآخرين عبر غرف الدردشة. وفى سياق شهادتها تؤكد Kate أن يوما ما سيسمح لها جدولها بالذهاب إلى الكنيسة، ولكن حتى يأتى ذلك الوقت فإن الإنترنت يساعدها فى رحلتها الدينية.

وتضم الطقوس الهامة الشائعة على الإنترنت "الحج"، سواء كان للأضرحة التخيلية للقدسيين الكاثوليك وزيارة المواقع التقليدية، مثل الحج التخيلى إلى القدس virtualjerusalem، والتى تمكن اليهود من استكشاف المعلومات الثقافية والدينية عن اليهودية، أو حتى "إرسال الصلاة عبر البريد الإلكترونى" لتوضع فى شقوق حائط المبكى فى القدس (المحتلة)، وباستخدام البرمجيات الإنترنت يتيح لمستخدمين متعددين الدخول إلى نفس الموقع بشكل متزامن وعقد محادثات جماعية (مكتوبة) أو بداخل غرف الدردشة، ويمكن لمستخدمى الإنترنت أيضا المشاركة فى اجتماعات الصلاة عبر

الإنترنت، وفى كثير من الحالات يجتمع المستخدمون فى منتدى ما على الإنترنت، وبعد ذلك يختارون وقتا بعينه للتنسيق لأداء صلوات جماعية أسبوعية.

ومن بين الطقوس الدينية يأتى الحج على وجه التحديد كعاكس لكثير من الأسئلة والتفاعلات فيما يتعلق بفهم الحضور الدينى على الإنترنت. وربما لا نستغرب القول بأن أغلب المتدينين قد ينظرون للحج التخيلى بعدم تقدير لأن الأصل فى الحج هو المعايشة والمكابدة ولكن Barbara Metcal فى مقال Second Life and the Sa-cred تسوق لنا منطقا آخر حيث تقول: "كلما تم النظر إلى الحج باعتباره حالة تجسد المثل الروحانية أكثر من مجرد تحركات جغرافية أو جسدية قل النظر إلى الحج التخيلى باعتباره مجرد شكل واهن ومخفف من الحج الواقعى، بالرغم من أن الحقيقة هى أن معظم الحج التخيلى تنقص صرامة وصعوبة الحج الواقعى ربما تقلق بعضاً من المتدينين، ففى النهاية، فإن كثيراً من الحج الواقعى هذه الأيام يتم بدرجة كبيرة من التكنولوجية".

ويؤكد Mac Williams Mark أن الحج هو خبرة بصرية – إلى حد كبير– ولهذا فقد يعمل الإنترنت – فى نظر البعض– بشكل مناسب كناقل لأنشطة الحج.

ولا يوجد وعاء بصرى إلكترونى أنسب من السكندلايف Second Life ليمكننا من اختبار تجربة الحج ومراقبتها. وكما جاء فى مقال Barbara Metcal فإن السكندلايف يعرف بأنه "بيئة متعددة

المستخدمين متخيلة، قارة رقمية شاسعة، زاخرة بالناس" وهو مساحة معرفة ومصممة ومفصلة... إنه مساحة للترفيه، والتجارة، والتعليم، والسياحة، والاستجمام، والاجتماعيات، والمشاركة، واللعب. مساحة تحددها اختيارات المستخدمين، وهو تفاعلى بشكل كبير والمدهش إنها يبدو واقعيًا. ويمثل المستخدمين فى هذا العالم أفاتار وهى تمثيلات للذات بشكل غير محدد ولانهائى الشخصنة وهو ما يعد المبعوث الرقمى للذات". ويبلغ تعداد مستخدمى الموقع حوالى ٢٣ مليون مستخدم حول العالم.

وتشير Metcal إلى أن "الدين الذى يعد هامشيا مقارنة بالأعداد الكبيرة من الخدمات التسويقية والجنسية على السكندلايف يظهر عبر عدد منوع من الكنائس، والمساجد، والمعابد وأماكن أخرى للتعبد حيث يمكن للأفاتار أن يذهب للصلاة ويقابل من على دينه، وللتعرف على أديان الآخرين"

ولكن هذا الحضور الذى وصفته Metcal بالهامشى لم يمنعها من إلقاء الضوء على الميزة النوعية للسكندلايف بالنسبة للباحثين حيث اعتبرته "حقل ملاحظة متخيل" وتضيف بأنها تعطى "فرص للمراقب الأنثربولوجى باختلافه عن الواقع ودراسات وسائط أخرى على الإنترنت... فهو مساحة اجتماعية مباشرة حيث الحوار الفورى يحاكى الواقع (وهذا غير الحوارات المؤقتة الواهنة لمنتديات الرسائل) ويقترب من الحسية المادية بحيث يجمع بين المنظور المرئى والشفهى، والحركة فى وخلال المساحة... وهو ما لا تحققه غرف الدردشة".

وإذا ما وقفنا تحديدا عند المساحات الإسلامية على السكندلايف فنجد أن Metcalf تشير لتمثيله بعدد متنوع من المساجد، وهى فى معظمها نسخ افتراضية من المساجد الموجودة فى الواقع. وتلاحظ Metcalf الخصائص المميزة للإسلام كدين والتى تنعكس على وجوده على السكندلايف حيث تقول: "إن الممارسات المشتركة للطقوس تخلق مساحات موثوقاً بها وإن هذه الممارسة متصلة بشكل خاص بالكلمات المقدسة بالطريقة التى تجعل الممارسة اليومية وكذلك الطقوس فى الإسلام مقبولة عبر الكلمات. وهذا يعكس تميز وأهمية النصوص الإسلامية والتى تضم القرآن على الأخص وأيضا الحديث والسنة والمقولات والأفعال المجمعة للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)". وهى تفسر التجريد الذى تتسم بها فنون العمارة الإسلامية الموجودة فى الواقع وفى الفضاء التخيلى بقولها "لقد أدى الحظر التاريخى على إعادة التشكيل البشرى - والتى تعتبر من قبل المسلمين أنها تحد لوحدانية الله - لإنتاج أشكال بديلة للتعبير الفنى مثل الخط العربى، والتى ترتبط ارتباطا وثيقا بالنص المقدس وكذلك العمارة الإسلامية التى تتميز بأشكال الأرابيسك المعقدة هندسيا والمساحات المفتوحة للهواء. ويتم تمثيل الإسلام على السكندلايف عبر عدد من نماذج المحاكاة التى تتراوح من الدينى بشكل محدد إلى تلك التى تستمد من موضوعات العمارة الإسلامية ولكنها ليست بطبيعتها دينية وبالطبع من أهم هذه الأمثلة هو نموذج محاكاة "مكة" التى تسمح للمستخدمين بالتعلم واكتساب المعلومات عن الحج.

وقد قدمت Barbara Metcalf خبرتها فى هذا الصدد بشكل مثير للكثير من الأسئلة التى تسهم فى فهم المشترك والمختلف بين خبرات الحج التخيلى من جانب والواقعى من جانب آخر فتقول: "وصلت إلى مكة عند ظهر صاف وفوجئت بأنها شبه مهجورة، وفى مركز الترحيب تم إعطائى حقيبة من الصوف ممتلئة بأشياء أحتاجها فى إقامة شعائر الحج، ووضعت على رأسى حجابًا، ومع الوقت أخذت طريقى للكعبة، وكانت الشمس تغرب، وأمضيت الليلة فى الخيمة وفى الصباح كنت أشاهد الغروب من جبل عرفة وبعد الانتهاء من الطواف قابلت شابة فرنسية ترتدى حجاباً لامعًا وسروال جينز عصرياً، وقد تحدثنا عن الجو فى باريس وعن الحج. كل هذا حدث فى نصف ساعة دون تركى لغرفتى فى مساحة متخيلة تدعى (سكندلايف)".

وبالرغم مما تشير إليه هذه التجربة من إمكانية ممارسة طقوس الحج على السكندلايف لغير المسلمين فى نوع من المعايشة والتعرف على الأديان الأخرى فإنها تؤكد أن "المساحة الإسلامية المقدسة - المسجد- لم تتوقف عن كونها مقدسة لكونها مساحة وسائطية متخيلة. فيتم توفير الحجاب عند مداخل هذه المساجد المتخيلة مع طلب من الأفاتار الإناث أن يغطوا أنفسهم ويطلب من الجميع أن يخلعوا أحذيتهم".

والحقيقة أن وضعًا جديداً ومتفرداً يفكك بعضاً من شروط القيام بالطقوس فى الواقع ويحتفظ ببعضها، ومجددا تشير Barbara

Metcalf إلى عدم إمكانية الادعاء بكون ممارسة هذه الطقوس سواء الصلاة أو الحج – وقد كانت تشير تحديدا لهما فى ظل الدين الإسلامى– رسمية أو فعلية ولكنها قد تكون مفيدة فى اكتساب المعلومات وبعض الخبرات الافتراضية عن الأديان.

الفلسفات الدينية غير السماوية: القابلية للتمثيل على الإنترنت

الخصائص البصرية واللامركزية على الإنترنت هما الأمران اللذان دفعا ببعض المراقبين لاعتبار بعض الأديان والفلسفات الدينية – خاصة غير السماوية– أكثر ملاءمة للإنترنت، وهو ما جاء فى دراسة Campbell التى سبق الإشارة لها Spritualizing the Internet حيث أشارت لربط Jaron Lanier بين الإنترنت والبوذية، وكذلك Jeff Zaleski الذى أشار إلى أن البوذيين كانوا من أوائل أتباع الفلسفات الدينية الذين أحاطوا الإنترنت بهالة القدسية كمساحة مقدسة وتستنسخ على الإنترنت شكلاً تقليدياً من الممارسة الدينية، وذكر Zaleski فى دراسته The Soul of Cyberspace أنه فى عام ١٩٩٦ نظم رهبان من التبت مقيمين فى نيويورك مراسم خاصة وطقوساً لتبارك الإنترنت حتى يمكن استخدامها فى الممارسات البوذية الدينية. ومنذ ذلك الوقت فإن هناك بعض الممارسات مثل Dharma Combat وهو نوع من الحوارات غير المعدة سلفا والتى تختبر الممارسين لـ (Zen تعنى فى البوذية الحكمة القائمة على التجربة من أجل تحقيق التنوير) للتحقق من مدى فهمهم لحقيقة Zen. وهناك مجموعات دينية أخرى مارست

أيضا طقوسا لمباركة الإنترنت كمكان مقدس منهم الكاثوليك والوثنيون التكنولوجيون Technopagans.

أما الهندوسية فقد تناول -Heinz Scheifinger في دراسة له بعنوان - Hinduism and Cyberspace بعضا من مواقعها المختلفة ومن بينها ما يسمح بطلب الـ Pujas وهي فعل تعبدي في الهندوسية يستدعي تقديم "عروض تشريفية" للإله حيث يتم بث المهرجانات ومشاهدة "الحرق" cremations عبر موقع على الإنترنت، ويرى البعض بأن وجود المواقع المتعلقة بالهندوسية غير مثير للدهشة فالإيمان بالأماكن المقدسة غير المادية مترسخ في الهندوسية. ويمكن في هذا الشأن تصور مثال الإيمان بـ tirthas(أو الأماكن المقدسة) وهي تعني حرفيا "مكان للعبور" وفي العالم المادي يقع tirthas حيث يمكن عبور الأنهار بيسر، ولكنها لها أيضا بعد روحاني غير مادي كعتبة بين السماء والأرض وهو ليس مكانًا فقط للعبور لأعلى بل أيضا العبور لأسفل حيث الآلهة.

و تخلص دراسة The Soul of Cyberspace لـ Jeff Zaleski إلى أن الإنترنت مرتب أفقيا لا رأسيا والحقيقة أن لها خصائص تسوي أفقيا أي تسلسلات هرمية، ولهذا فهي تفضل بشكل تلقائي الفلسفات التي لا تؤسس على هذه التراتبات، وفي السياق نفسه يشير Paulo Apolito إلى أن أول ضحايا الإنترنت هو سيطرة المؤسسات الدينية التقليدية، وبالرغم من وجود نظم الطبقة الاجتماعية في الهندوسية caste فهناك غياب للكنيسة المركزية وهو

ما يعنى أنها تفتقد للتسلسل القوى الرسمى الذى يمكن تحديه بشكل مباشر، ويمكن فى هذا السياق إدارة نقاش حول الهندوسية باعتبارها – إلى حد ما – ما بعد حداثية حيث إنها انتقائية بطبيعتها وأتباعها أحرار فى الاستفادة من عدد متنوع وأحيانا متناقض من المعتقدات والممارسات.

نظرة روحانية للفجوة الرقمية

وأمام أنماط الحضور الدينى المختلفة وفرص المتدينين على الإنترنت يبدو لى كما لو كان هناك نظرة روحانية أيضا للفجوة الرقمية Digital Divide والتى تضع الجميع أمام مأزق قيمى وموضوعى عند الحديث عن الدين على/ فى الإنترنت حيث يقول Pa- trik Maxwell " تظهر قضية العدالة فى ضوء قصص جديدة تفرضها تكنولوجيا الإنترنت، ففى محاولة تقدير الروحانى والمتسامى يخشى من خطر رفض الجسد (التعالى عليه) وعلى الهموم المحيطة بما فيها مسئوليات الرعاية الدينية والعدالة الاجتماعية، وتكمن المفارقة فى أن تكنولوجيا مثل الإنترنت يفترض أن تبنى على الاتصال والتواصل قد تؤدى إلى اغتراب الناس عن بعضهم".

وفى هذا الحديث إشارة واضحة للتناقضات التى قد تخلقها الأدوات، فالأديان القائمة بالأساس على المساواة والتراحم تدخل ضمن هياكل وبنى استهلاكية وثقافية قد تتحول جوانب منها إلى بعض من أسباب الفجوة بين الذين يملكون والذين لا يملكون.

الفصل الثاني
المدونات... الأصوات

"يحبطنى هذا الاستقطاب بين الروحانيات والسياسة.. أشعر أن ثقافتنا تقسم الحقيقة تماما مثل تلك الأم فى قصة الملك سليمان التى كانت تود أن تقطع ولدها إلى نصفين.. كأن جانبا من الثقافة أو السياسة فى النصف الأيمن بينما الجانب الآخر فى النصف الأيسر وكلا النصفين الداميين والغير مكتملين يتنازعان ليثبتا أن أياً منهما يكفى للحياة"

كان هذا تعليق أحد المدونين الأمريكيين على إمكانية دمج الروحانيات فى النظر لشئون حياتنا الثقافية والسياسية ضمن دراسة مهمة بعنوان "التدوين كممارسة دينية"

لم يكن هذا المدون الأمريكى وحده من استوقفه هذا الاستقطاب، وبشكل مبدئى فقد واجه بعض الدارسين للخطابات والممارسات

الدينية على الإنترنت مفارقة بحثية لافتة تمثلت فى النظر إلى الإنترنت والدين كمتناقضين، وهو أمر يتفق إلى حد بعيد مع مجمل الخبرة الغربية الحديثة والتى رأت أن الإنترنت تشكل تحدياً لأتباع الأديان المختلفة باعتبارها تدخل ضمن تطبيقات نظريات العلمنة التى تجسد علاقة عكسية بين عمليات التحديث (التكنولوجى والاجتماعى والاقتصادى) وأهمية الدين وموقعه فى المجتمع. وكما توضح دراسة مهمة قام بها عدد من الباحثين ونشرت فى ٢٠٠٨ تحت عنوان The chronicles of me: Understanding blogging as a religious practice بأن هناك رؤيتين حول الاستخدامات الفردية للإنترنت والتى تنعكس بشكل مباشر على التدوين لأغراض دينية religious blogging إحداهما ترى أنه بالاعتماد على نظريات الاستخدامات والإشباعات فإن الإنترنت تجسد رؤية غير دينية وأن المتدينين قد يكونون الأقل استخداما لهذه الوسيلة، والأخرى ترى أن مؤخرا تظهر وجهة نظر أخرى ترى علاقة أكثر إيجابية بين التدين واستخدام الإنترنت بل وتأتى بعض الدراسات وهى تحمل قدرة تفسيرية أكبر عبر الوقوف على تفاصيل استخدامات المتدينين للإنترنت وممارستهم عبرها لتبرز موقفهم المركب القائم على إعادة تشكيل الوسيلة ثقافيا ودينيا لتلائم قناعاتهم كمستخدمين لها. وحتى من المنظور التاريخى الاجتماعى لم تخل كتابات الباحثين والمراقبين من إبراز الكيفية التى وظف بها المتدينون وسائل الاتصال والإعلام المختلفة عبر التاريخ بدءاً بالكتابة على الورق والصور المطبوعة

ومرورا بالراديو والتليفزيون وانتهاءً بالإنترنت، ولكن - وفى السياق نفسه - يحسن الإشارة إلى ميل بعض الباحثين إلى اعتبار الإنترنت بلامركزيته وشبكيته ممثلا لما بعد الحداثة ومعطيا للدين والمتدينين فرصة أكبر للتمثيل والظهور فى مقابل وسائل الإعلام التقليدى (الجماهيرى) التى تمثل فى مركزيتها وخطيتها مشروع الحداثة وما عرف عن تحجيم لأشكال التعبير عن الدين والمتدينين.

وعموما فإن مثل هذه التصورات حول موقع الدين فى المجتمعات الغربية - على وجه الخصوص- تتم مراجعتها من آن لآخر وتأتى دراسات الإنترنت لتساهم بدور واضح فى هذا الشأن. فعبر الإنترنت يمكن ملاحظة إمكانية تجاوز الثنائيات الحدية التقليدية مثل مقدس/ علمانى أو متدين/ غير متدين، فالإنترنت تعد من الساحات الرئيسية التى ينتقى عبرها الأفراد طرقهم فى التعبير عن تدينهم بل ويغيرون هذه الطرق أحيانا.

فضاء التدوين بين الانطلاق والمحدودية

وبشكل عام فقد سمحت الإنترنت بفرصة كبيرة لإدارة نطاقات واسعة من النقاشات تجاوزت الحدود الجغرافية والإيديولوجية التقليدية، وفى تقدير بالغ للفرق الذى أحدثته الإنترنت ووسائل الإعلام الجديد يرى Dan Gillmor فى كتابه We the Media (2004) أن هذه الوسائل هى الأكثر ديمقراطية وهى ما أسماها بالإعلام القاعدى Grassroots media، وتأتى المدونات Blogs لتشكل موجة مهمة تميز محتوى الإعلام الإلكترونى وتثير جدلا حيويا

حـول آثاره المحـتمـلـة، لـقـد مـثل الـتـدوين - blogging عـلى وجه الخصـوص – فرصـة هـائلة للنشر والنقاش والنقد بالشكل الذى دفع Douglas Rushkoff (2005) للادعاء بـأن التدوين يـأتى كمـكون أساسى لنقلنا لما يعرف بعصر مجتمع التأليف "authorship soci-ety، ويـعود Dan Gillmor ليؤكد لنا أن أهـم ما يميز التدوين هو "الأصـوات" خـاصـة على المسـتوى الـفردى الـذى يـجـسـده الـتـدوين بـحيوية. ويعرف Albert Hirschman الصـوت عبر نموذج Exit, Voice and Loyalty بأنـه "أى محـاولة للتغيير – بدلا مـن الهروب – من حالة معينة تستدعى الاعتراض وأن مثل هذه المحاولة قد تكون عبر الإتيان بأفعال أو احتجاجات فردية أو جماعية".

ولـكن مثل هـذا التصـور المتفـائل بشـأن المدونـات وأثرهـا لا يـجمـع عليه المراقبـون والبـاحثـون فبـالرغم من أن الـبعض رأى مـضـاهـاة الأجواء التـى خلـقتـها الإنـترنت بالـ "المجال الـعام" public sphere الذى قدمه هـابرمـاس Jurgen Habermas، فإن Andrew Baoill (2004) اسـتـخـدم الـنمـوذج نفسـه ليدلل عـلى أن هـنـاك عـوائق فـى فـضـاء الـتـدوين نـفـسـه تحـول دون إقـامـة حـوار جـمـاعـى مـفـتـوح، فـالمدونـات لا تـشـكل حـوارا كونـيـا وإنمـا هـى " تجـمـع تكـويـنـات من الحوارات المتقاطعة يحكمها إلى حد بعيد نخبة من المدونين، فبالرغم من أنه يمكن لأى شـخص أن يبدأ مـدونـة، فإن عدداً مـحـدوداً هـو ما يتم قراءته بشكل واسع" وبالرغم من اعتراف مـثل هؤلاء البـاحـثين بقـدرة المدونـات عـلى تجـاوز الحـدود التى وضـعـتـهـا وسـائل الإعلام

التقليدية، فإنهم يلفتون النظر إلى أن التدوين يطرح أسئلة ومشكلات جديدة تتعلق ببنية وسائل الإعلام الجديد وطرق عمله.

وإذا كنا قد استغرقنا بعض الوقت فى الحديث عن المدونات بشكل عام فيظل سؤال القارئ مشروعا: "لماذا اختيار المدونات عند الحديث عن تجليات الأديان على الإنترنت؟" والحقيقة أن هناك إجابات عديدة ممكنة ولكن من أبرز الأمور اعتبار المدونات مدخلا للحديث عن مشكلات تغطية الشأن الدينى فى وسائل الإعلام التقليدية ومقارنتها بالفرص التى وفرتها وسائل الإعلام الجديد – وعلى رأسها المدونات – لتغطية أكثر تعقيدا وحيوية للشأن الدينى.

ويمكن للمحلل السياسى William Schneider أن يجمل لنا جانبا من هذا الإشكال بقوله "الصحافة.. إنها لا تفهم الدين".

وهنا أستحضر لقاء يلقى بظلاله على هذا النقاش فقد دفعنى ما حملته من قلق ومشاعر سلبية حول طبيعة تغطية وسائل الإعلام الغربية لقضايا الإسلام والمسلمين- شأنى شأن غالبية العرب والمسلمين فى أرجاء المعمورة- للمبادرة بسؤال «روجر هاردى» محلل شئون الشرق الأوسط بالـ«بى بى سى» عن مدى شعور الإعلام الغربى بهذه الأزمة وكان ذلك فى منتدى مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية للعام ٢٠٠٣، فجاءت إجابته لتلفت النظر لأبعاد أراها كانت غائبة عنى إذ قال: «للعمل الإعلامى طواغيته التى تسهم فى تبسيط المعقد وتشويه الحقائق أحيانا». هذه الطواغيت التى أشار إليها لم تكن من وجهة نظره إلا الأطر التشغيلية وخصائص العمل

الإعلامى التى تساهم فى رسم أداء الصحفيين عموما بدءاً من ضغوطات المواعيد النهائية لتسليم المواد الإعلامية Deadlines، ومرورا بقائمة الاتصالات الخاصة بكل صحفى ومدى درجة توفر الخبراء الذين يمكن للصحفيين الاستعانة بهم فى تفسير الأحداث بشكل يستدعى السياقات الضرورية ويعمق من فهم المتلقين. وأضاف «هاردى» لهذين الطاغوتين المساحة المحدودة للنصوص فى الإعلام المكتوب والزمن المحدود فى الوسائل السمعية والبصرية التى تدفع للاختزال والاجتزاء وتضر بنقل الحقائق وتحليل الظواهر.

«هاردى» أضاف لحديثه عن هذه الطواغيت قوله بأنه لا يمكن استثناء الإعلاميين من حالة شبه عامة من الجهل بالإسلام لدى الكثير من الغربيين. وهو ما يضع الأمر فى سياق من «صراع الجهالات» ـ كما وصفه إدوارد سعيد من قبل ـ أكثر منه صراعا للحضارات وفقا للوصف المتكرر كلما نشأت أزمات تتعلق برسم وسائل الإعلام فى المجتمعات الغربية لصور ذهنية عن الإسلام والمسلمين.

وإلى جانب المشكلات البنيوية والمهنية فى العمل الإعلامى فإن الساحة الإعلامية الغربية يتكرر فيها كثيراً التأكيد على هويتها العلمانية وهو غالبا ما يؤثر ليس فقط على تغطيتها لقضايا الإسلام والمسلمين ولكن اشتباكها مع الدين عموماً وللتأكيد على هذه النقطة يمكن استدعاء ما ناقشه «لارس لندستن» المحلل الإعلامى بفنلندا فى ورقة له بعنوان «الصحافة كديانة علمانية: لماذا يساء فهم المسيحيين

والمسلمين على السواء؟» حيث ادعى بأنه بعد قراءة عميقة لعدد محدود من التقارير الإخبارية والتى تتعلق بمناقشة بعض من القضايا الدينية، فإنه يمكن للمرء الوصول لنتيجة عامة بأن المنطق والفكر الدينى يعدان دخيلين على أغلب المؤسسات الصحفية فى الغرب، وبالإضافة لهذا فإن الصحفيين الغربيين يعتقدون أن الأزمات المالية وتقليص الميزانيات جعلت قسم الشئون الدينية فى المؤسسات الإعلامية المحلية والإقليمية يختفى بل وجعلت محررى الشئون الدينية يفقدون وظائفهم أو يتحولون لوظائف بأقسام أخرى. ووسط كل هذه المعوقات المهنية تأتى المدونات ضمن سياق الإعلام الإلكترونى البديل لتشكل فرصة جادة لتغطية مختلفة للشأن الدينى لتتحول المدونات – بفضل مرونتها – إلى مصادر رئيسية لأخبار الترفية والتكنولوجيا والأعمال. ولكن ومن وجهة نظر الصحفيين أنفسهم فإن المشكلة الرئيسية هى فى غياب قدرة هذه المدونات على تمويل تغطية صحفية استقصائية كتلك التى توفرها الجرائد والمجلات.

عموما ووفقا لدراسة بعنوان The New Landscape of the Religion Blogosphere أصدرها (٢٠٠٩) Social Science Research Council فإن المدونات بشكلها الحالى قد قطعت شوطا هائلا يتجاوز التعريف المبدئى لها كسجل مرتب زمنيا لعدد من الروابط وهذا التطور يعود لأسباب عديدة من أهمها كثافة عدد المدونين، والاستخدام المتطور لصور وملفات الفيديو والصوت، إضافة إلى تأثر المدونات بالتطور الكبير بما عرف بمواقع الشبكات

الاجتماعية ودرجة التفاعلية interactivity الكبيرة التى تتمتع بها والتى تعطى دورا هائلا لمستخدم الإنترنت وتحوله إلى منتج لا مجرد مستقبل للرسالة الإعلامية، ولكل هذه الأسباب ينبهنا Gillmor إلى اعتبار المدونات كهدف متحرك، فدراسة وتحليل محتواها تتطلب فهم التطورات المحيطة بها والمؤثرة فيها.

رسم خرائط المدونات

استوعبت المدونات - بشكل سريع - النقاشات الهائلة على الإنترنت واجتذبت أعدادا متزايدة من الراغبين فى التدوين لأسباب مختلفة، وهو أمر ينطوى على تحد كبير لأى باحث للتعاطى مع هذا العدد الهائل من المواد والمنابر التى تمثل أصحاب الهويات الدينية المختلفة تماما كما ينطوى فى الوقت نفسه على فرصة مميزة نظرا لتنوع المحتوى وتعدد مستويات تحليله. وكما يذكر "عبد النور إدريس" فإن باحثى الإعلام الإلكترونى يواجهون نفس المشكلة الأساسية التى واجهها علماء الاجتماع مثلما أشار له Max Weber من أن الحقيقة الاجتماعية غير معينة (نهائية) infinite ويظل الاختيار الأكثر تحديا وتعقيدا هو المنهجية التى يمكن اتباعها لدراسة المعلومات وخط سيرها وأنماط نشرها على الإنترنت خاصة عبر المدونات التى تتميز بالانتشار الهائل والتشعب والمواد غير المحدثة، للدرجة التى وصف بها البعض المدونات بأنها أحيانا ما تطفو كالنفايات، ويلجأ الباحثون لمناهج متعددة للتعامل مع هذا التحدى المنهجى فمنهم من يلجأ إلى المداخل الإنثربولوجية للتعرف

على كيفية الإنتاج والاستخدام وتكوين الشبكات ومنهم من يستخدم التقصى التاريخى لوسائل الإعلام التقليدية أوالسابقة على الإنترنت ومقارنتها بالتدوين على الإنترنت.

والسؤال الذى قد يشغل بال كثيرين هو كيف يمكن التعامل مع هذا الكم الهائل من المدونات ورسم خرائطها، ووفقا لـ The Chronicles of Me: Understanding Blogging as a Religious Practice فإن هناك أدوات يمكن استخدامها لرسم صورة كمية لانتشار الدين عبر المدونات، وهناك ثلاث خدمات تغطى شبكة الإنترنت يمكن استخدامها فى هذا الشأن Technorati, Alexa وCompete تخصصت فى قياس تأثير المدونة عبر حساب عدد المدونات الأخرى التى نقلت عنها أو اقتبست منها وهذه الخدمة تعطى أيضًا القدرة على البحث فى المدونات الأحدث عبر كلمات مفتاحية محددة، أما Alexa Compete فيستمدان إحصائياتهما من حساب عدد المستخدمين الذين يتصفحون هذه المدونات.

وكالعادة فإن الأرقام تعجز دائما عن عكس تعقيدات ظاهرة اجتماعية أو ثقافية بعينها، وبناءً عليه فإن Kathy Gill على سبيل المثال تشير إلى فشل هذه المقاييس فى الوقوف على حقيقة تأثير مدونة أو موقع نتيجة للفرق بين مجرد الاعتماد على الأرقام والتحليل الأعقد لشبكة التأثيرات بين المدونات المختلفة.

وعلى كل فإن الدراسات التى تسعى لتحليل أعمق للظاهرة لا تكتفى بما تقوله الأرقام، ففى The New Landscape of the

Religion Blogosphere تقدم الدراسة نتائج استبيانات لما يقرب من ١٠٠ مدونة وصفتهم الورقة بأنهم الأكثر تأثيرا وأنهم يساهمون فى النقاشات الإلكترونية حول الدين فى المجال العام وفى الأوساط الأكاديمية تحديدا.

وفى The Chronicles of Me: Understanding Blogging as a Religious Practice تستخدم أدوات شبيهة لتختبر محتوى المدونات المتعلقة بمناقشة القضايا الدينية، والدرجة التى تندمج بها المدونات الدينية مع غيرها من موضوعات ومساحات أخرى على الإنترنت، والدوافع التى تحث المدونين على التدوين باعتباره ممارسة دينية.

ضبابية التعريف والتصنيف للمدونات "الدينية"

ومبدئيا إذا ما حاولنا بشكل متخيل تحديد رقعة المدونات الدينية على خريطة المدونات بشكل عام، فإننا نجد القوائم التى تضم المائة مدونة الأولى لـ Technorati والـ ٢٥ مدونة الأولى وفقا للـ Time كلاهما يشير إلى أن القائمة المتربعة على قمة المدونات تضم التدوين حول السياسة، التكنولوجيا، الترفيه.. ووفقا لهذا فإنه يمكن القول بأن الدين لا يحتل المقدمة أو المساحة الأوسع فى فضاء المدونات. والحقيقة أن هذا الأمر لا يبدو مقتصرا على المدونات الصادرة بالإنجليزية والمنطلقة بشكل أساسى من العالم الغربى، ففى دراسة أصدرها مركز ماعت للسلام والتنمية وحقوق الإنسان فى بدايات عام ٢٠١٠ وقام بإعدادها عدد من الباحثين منهم أحمد الغمراوى

وهاجر محمود ونور على بعنوان (المدونات نوافذ جديدة للمشاركة والتغيير: دراسة تحليلية لمضمون عينة من المدونات المصرية خلال عام٢٠٠٩) عن أنماط المدونات المصرية شكلت المدونات الدينية ٧ ٪ فقط من مجمل أنواع المدونات الأخرى حيث "كشفت نتائج الدراسة عن وجود ٧ مجموعات أساسية للمدونات، وهي مدونات متنوعة الاهتمامات بلغت نسبتها ٣٠,٧٪ من المدونات المصرية أى أن ثلث عدد المدونات المصرية لا يتقيد بمجال اهتمام محدد، فى حين أن المدونات السياسية بلغت نسبتها ١٨,٩٪ أى فى الترتيب الثانى لعدد المدونات المصرية، مما يؤكد أن الفضاء التدوينى المصرى ليس فضاءً سياسيًا فقط رغم أن الفضاء التدوينى السياسى هو الأعلى صوتًا سواء فى العالم الافتراضى أو خارجه، ١٥,٥٪ من المدونات المصرية مدونات شخصية، ١٤,٤٪ مدونات ثقافية) أدبية- فكرية، فنية، صحفية (٧٪ مدونات دينية، ٨,٤٪ مدونات اجتماعية حول الرجل والمرأة والزواج والطلاق والعنف....، ٤٪ مدونات علمية تكنولوجية حديثة ".

ولكن مثل هذا الاستنتاج المتعلق بالمحدودية الكمية لـ " المدونات الدينية " لا يبدو حاسمًا.. فهناك مشكلات فى التعريف والتصنيف. فعلينا أن نسأل أنفسنا هل المدونات الدينية هى إلتى تنشأ خصيصا لغرض دينى (بالمعنى الدعوى أو الحث على ممارسة طقوس وتعاليم الدين) أم التى يكون موضوعها الدين بمعنى مناقشة انعكاس تصورات الناس الدينية على حياتهم فى المجالين العام والخاص)

فعلى سبيل المثال تنوه الدراستان – المذكورتان سلفا– إلى أنه لابد من تفهم أن فضاء التدوين الدينى غير متحدد أو ذو حدود قاطعة تفصله عن غيره من المدونات وأن هناك نظرات مهمة حول موضع الدين فى المجال العام تظهر على مدونات لا تتخصص بالأساس فى الشأن الدينى، ويتضح تعقد المشهد أكثر باستدعاء بعض الأمثلة فبعض المنابر الإلكترونية مثل getreligion.org, christianityto-day.com هي جزء من المدونات الدينية بينما مثلا هناك pewfor-um.org and nytimes.com التى تبدو كمصادر معلومات خارجية ولكن المدونين الدينيين عادة ما يظهرونها كروابط على مدوناتهم. وهناك مدونات خصصت للشأن الدينى ولكنها تبنت اتجاهات عديدة مثل Beliefnet التى صنعت سلسلة من المدونات الدينية والتى تناولت شئون السياسة والثقافة والترفيه وهناك أيضا The Reveal-ler and GetReligion اللذان ظهرا فى ٢٠٠٣ ليقدما بشكل أساسى فرصة للتعليق النقدى بشأن الطريقة التى يتناول بها الإعلام التقليدى (السائد) للدين وقد بلغ أثرهما أن نقلت الصحف والقنوات الرئيسية كثيرا عنهما. ولا تقتصر هذه الضبابية فى التعريف والتصنيف على المدونات فى "الغرب/ المسيحى" ففى كتابه iMuslims افرد Gary Buntفصلا عن المدونين المسلمين والذين يدونون بلغات شتى منها العربية والإنجليزية والفارسية، وأكد Bunt فى كتابه الاستخدام المتزايد فى أوساط المسلمين للميديا الجديدة ومن بينها المدونات التى تسمح بإظهار الأصوات الفردية المختلفة ويمكن تعقب ما أطلق عليه

Bunt بالمسار الإسلامى عبر رصد تفاعلات هذه المدونات مع بعضها البعض بالاستعانة بخدمات RSSوغيره من وسائل Web 2.0 ولكن Sune Haugbolle ينتقد تصورات Bunt ويحذره من الوقوع فى فخ الاشتشراق القديم الذى يحاول أن يطرح الإسلام والمسلمين كاستثناء بينما ما يرصد هو فعل اجتماعى يتشارك فيه المسلمون مع غيرهم ويزيد Haugbolle بقوله بأن العديد من المدونين الذين عرفهم Bunt بكونهم مدونين مسلمين ربما لا يفضلون تعريفهم على هذا النحو وإنما يفضلون تعريفهم كشباب أو نشطاء، وفى إشارة جلية إلى التناقضات والتعقيدات الكثيرة لتعريف المجال العام للمسلمين الذى ساعدت على إبرازه وسائل الإعلام الجديد يلفت Haugbolle النظر إلى تقاطع هذا المجال وتداخله مع قضايا وتعبيرات العلمانية وأن الفصل التام بين أنماط التعبير وتقاليد فى المجال الإسلامى الإلكترونى لم يتحقق، وفى مثال واضح على ما يقول، ذكر Haugbolleالمدون أسد أبو خليل والذى صنفه Bunt بأنه ضمن فضاء التدوين الإسلامى بينما يقول Haugbolle أنه أستاذ شيعى يصنف كشيوعى ويعرف على الإنترنت بـ Angry Arab ويقول Haugbolle أن «أبو خليل» كثيرا ما يعلق على موضوعات إسلامية – مثله مثل عدد كبير من المدونين على الإنترنت – ولكن هل هذا كاف لتصنيفه ضمن iMuslim؟

و الحقيقة أن ما ذكره Haugbolle لم يمنع أيضا القائمين على دراسة أعدها مركز بركمان للإنترنت والمجتمع فى جامعة هارفارد

الأميركية كتحليل لعالم المدونات العربى من القول بأن الدين هو "موضوع ذو شعبية واسعة فى عالم التدوين". وعادت الدراسة لتوضح أنه يتم معالجته من وجهة نظر شخصية أكثر مما يعالج من وجهة نظر سياسية أو لاهوتية. وكانت الدراسة التى جاءت كتحليل بعنوان "خريطة عالم المدونات العربى: السياسة، الثقافة والمعارضة" فى ١٦ يونيو ٢٠٠٧ قد أظهرت أن هناك تقسيمات يمكن أن تعكس أنماط التدوين فى أوساط المدونين العرب فهناك مجموعة "جسر المشرق/الإنكليزى"، المكونة من مدونين يقيمون فى منطقة المشرق، وتضم لبنان، فلسطين، الأردن وسوريا، إضافة إلى معظم مدونى العراق. وينضم إليهم ما يسمى بـ"المدونين الجسور" من مختلف أنحاء العالم العربى ويكتبون بالإنكليزية. وتقول الدراسة إن هذه المجموعة تتناول مواضيع مختلفة وتهتم بالأخص بالقضايا الدولية. ثم تأتى مجموعة "جسر المغرب/الفرنسى"، التى تضم بالأساس مدونين من المغرب، ثم مجموعة "التركيز على الإسلام" التى تركز على الدين. هذه المجموعة تضم شبكة كبيرة من المدونين من مختلف البلدان العربية المهتمين بالمسائل الدينية، أهمها الإسلام مقارنة مع المجموعات الأخرى، تميل مجموعة المشرق إلى عدم التعاطى كثيرا فى القضايا الدينية، ولا أعتقد أن ما لاحظته الدراسة هو عدم تعاطى مع القضايا الدينية بقدر ما هو مفهوم آخر لتعريف أو للشعور بالشأن الدينى الذى يأتى مطمورا ضمن عدد كبير من الظواهر الثقافية والمناقشات السياسية.

وعموما فإن الآراء التى تختلف بل وتتضارب أحيانا حول فكرة وجود وتميز المدونات الدينية عن غيرها تعكس قضايا وأسئلة مزمنة ومعقدة - سبق الإشارة لها فى مقدمة هذا الفصل - حول حضور وتعريف الدين فى مجتمعات الحداثة وما بعدها وكما يشير كثيرون فإن الجدل الأساسى الذى يجتذب عدداً كبيراً من العلماء والباحثين هو التنافسية والتفاعلية بين عودة الأديان والحداثة العلمانية.

ولكن هذا التضارب والاختلاف فى الرؤى حول تعريف وتصنيف المدونات الدينية، يمكن النظر له بشكل إيجابى ففى The New Landscape of the Religion Blogosphere تم التساؤل حول وجود فضاء لمدونات دينية وجاءت الإجابة أنه بالرغم من عدم وجود قائمة حصرية أو تعريف جامع مانع للمدونات الدينية فإن مثل هذا الفضاء يمكن تمثيله عبر احتمالية إقامة حوار حول الشأن الدينى بين أصوات متعددة، بل ترى الدراسة أن سر قوة فضاء التدوين الدينى هو فى قدرته المرنة على المشاركة بيسر وتبادل النقاشات بين الأنواع المختلفة من المدونات التى تتقاطع وتتشابك موضوعاتها. إن بقاء الحوار قائما بين المدونات الدينية والدوائر الأوسع من الخطابات العامة والشئون السائدة والاستفادة من الأصوات والخبرات العامة يفيد فى نشأة مدونات دينية أقوى، ولهذا فالدراسة تشير إلى مقاومة الإغراء بتحول المدونات الدينية لجيتو (لمنعزل) والاستفادة بفكرة الحدود الغير معينة للمدونات الدينية، وبالرغم من أن التدوين لأغراض دينية يتقارب فى خصائصه مع الممارسات المتعلقة بالتدوين

بشكل عام، فإننا يمكننا تصور اعتماد المدونات السياسية – على سبيل المثال – على الأخبار للانطلاق فى نقاشاتهم بينما المدونون لأغراض دينية يبدو أنهم يجمعون موادهم من مصادر متعددة منها خبرتهم المعاشة، والنصوص والمعتقدات الخاصة بمجتمعهم الدينى ومن جانب آخر فقد تحولت مثل هذه المدونات إلى مصادر لوسائل الإعلام لما يتعلق بالشئون الدينية.

وفى ضوء النقاش السابق فيمكننا فهم عدم إمكانية التصنيف الحدى للمدونات الدينية خاصة أن المدونين ليسوا عددا من الناشرين التقليديين المعنيين بتصنيف المحتوى إلى أقسام أو ترفيفه وفقًا لهذه الأقسام كما يحدث فى المكتبات التقليدية فالمدونات تعنى بشكل أساسى بتنمية صوت مميز وانتخاب مصادر مختلفة للمواد المدونة، ولكن كل هذا لا يحول دون رؤية وجود مدونات اختارت أن تكون صاحبة اهتمام بالشأن الدينى للدرجة التى تنامت معها وأصبحت هناك قوائم للمدونات الأكثر شهرة وتأثيرا مثل تلك التى ذكرتها دراسة The Chronicles of Me: Understanding Blogging as a Religious من مدونات تهتم بشأن الدين المسيحى وتصدر باللغة الإنجليزية مثل Get Religion, Amy Welborn, Tim Challies, Jordon Cooper, and the Evangelical Outpost

وإذا ما حاولنا رسم خريطة المدونات الدينية فيبدو لنا أنها أبعد ما تكون عن كونها سطحاً أملس متجانساً وإنما طبيعتها تتفاوت وتحدد رسما طوبولجياً خاصاً بها، ويمكننا أن نجد مثالاً على ذلك

فيما قدمته دراسة The New Landscape of the Religion Blogosphere، حيث تم الإشارة إلى شكل من المجموعات (أو الاتجاهات) التى تسود المدونات الدينية والتأكيد على أنها لا تتبع تصميما متماسكاً حيث تغذيها دوافع شتى للمدونين، ووفقا للدراسة فهناك المدونات التى يغلب عليها الصبغة السياسية يسيطر عليها – بشكل أساسى – درجة أعلى من التحاور مقارنة بالاتجاهات الأخرى، أما المدونات الدينية التى تعنى بالمنظور الثقافى وتقديم الأفكار فهى تنشط فى المحاورات التى لا تقتصر على الدين بشكل محدد، وعلى سبيل المثال فمدونتا Pharyngula and Irtiqa و Irti- qa هما مدونتان أمريكيتان مسلمتان تقتبسان وتنقلان عن مدونات علمية وعامة، أما المدونات الدينية الأكاديمية فهى تروق أكثر للجمهور المتخصص ومنها Prosblogian التى تتوجه إلى فلاسفة الدين وهي خاصة بتبنى المنهج التحليلى، بينما Immanent Frame تعنى بالنظرية الاجتماعية واللافت للنظر هو مشاركة مثل هذه المدونات فى قضايا ومحاورات تتجاوز الحدود الوهمية للمدونات الدينية.

وإذا ما حاولنا اتخاذ لقطة مقربة لأغراض التدوين الدينى يمكننا الاستعانة بنتائج المقابلات التى أجراها القائمون على دراسة Understanding Blogging as a Religious Practice The Chronicles of Me: مع المدونين لسؤالهم عن دوافعهم للتدوين والتى تم دمجها فى أغراض ثلاثة: نقل القيم، الترفيه والترويح، الاندماج والتفاعل، وفى بعض الأحيان كان المدونون يعبرون عن هذه

الأغراض بمصطلحات ومفاهيم دينية، على سبيل المثال للاندماج مع المجتمعات الدينية على الإنترنت أو فى الواقع، وبشكل عام فإن التدوين يخدم أكثر من غرض، وأغلب المدونين يشيرون إلى الفرصة التى توفرها لمناقشة آرائهم الخاصة فى المجال العام، كما أن العديد من المدونين يؤكدون على الدور الذى تلعبه المدونات فى التأريخ لرحلتهم الروحانية عبر التدوين، والمثير للاهتمام أن القليل من المدونين هم من يتبنون الموقف الدفاعى عن عقيدتهم و"لحماية جسد المسيح" على حد قولهم.

و الدراسة أشارت إلى أنه يمكن ملاحظة حركتين تنتميان للتدوين "المسيحى". الأول هو كونها مساحة للـ"كنيسة الناشئة " emergent church وهى فكرة ترتبط باللاهوت الذى يسكن ضمن ثقافة ما بعد الحداثة والتى لا تعتمد على رواية مفردة عقلانية وإنما تأتى من عدد متنوع من الممارسات وتتناسب إلى حد بعيد مع الجيل المتواصل شبكيا، وبالرغم من ذلك فإن قطاعات من فضاء الإنترنت مازالت تعكس تأثير الخبرات الدينية التقليدية والتى تضم حضور المناشط الدينية فى دور العبادة، دراسة الكتب السماوية، الأعمال التبشيرية وكذلك بالصلات لمصادر المعلومات عن الدين المسيحى، وقد دعمت المعلومات التى طرحتها الدراسة فكرة الأثر والتكييف الثقافى والروحانى للتكنولوجيا الذى يمارسه المدونون لأغراض دينية حتى تتلاءم الوسيلة مع ممارستهم الإيمانية والروحانية.

الانتخاب الطبيعى فى فضاء التدوين

يمثل المدونون طيفًا واسعًا من الممارسات والأهداف، قد يضم مستهدفى التوثيق للرحلة الشخصية الروحانية وللبعض الآخر فالمضمون الروحانى يكون أقل مقابل تمثيل أكبر للاشتباك مع تفاصيل الحياة اليومية. وفى كلتا الحالتيْن فهناك أمثلة على ذلك الاندماج ما بين العلمانية والدين والثقافة والاتصالات... .

وفى دراسة " The New Landscape of the Religion" Blogosphere نجد تفصيلا ممتعا للدوافع التى تقود المدونين للأغراض الدينية آخذين فى الاعتبار كون الدراسة قد صبت تركيزها بشكل أساسى على المدونات المسيحية الناطقة بالإنجليزية والامريكية على وجه التحديد التى تقترب أكثر من الأجواء الأكاديمية. وتقول الدراسة إنه حين تم سؤال المدونين عن السبب لم يضعوا الحصول على الشهرة أو المكافأة المالية على رأس تلك الأسباب ولكنهم ببساطة وجدوا حاجة للتدوين، فأستاذ القانون Howard M. Friedman بدأ مدونته Religion Clauseكهواية، ويقول: "بدا لى أن هناك حاجه لمصدر يحاول تتبع تطورات العلاقة بين الكنيسة والدولة والحريات الدينية من وجهة نظر قانونى" أما Paul Harvey صاحب مدونة Religion in American History وهو مؤرخ بجامعة Colorado فرأى أنه من الجيد محاولة تناول التاريخ الدينى الأمريكى، وقد بدأ كل من Jeff Sharlet وPeter Manseau مدونتهما Killing the Buddha فى عام ٢٠٠٠ بسبب "احتقار"

الصحافة للدين والتي ترى الدين إما روحانية غير ضارة أو تطرفاً خطيراً بينما فى أغلب الأحيان يحتوى الدين - بحسبهما على كلا الأمرين بجانب أشياء أخرى. أما Benjamin Myers فقد قال ببساطة أن الملل الذى عاناه وعدم وجود كثيرين يمتلكون نفس أفكاره فى المكان الذى يعيش فيه هما السبب فى التدوين، ووفقا Daniel Schultz فقد بدأ مدونته Street Prophets بعد انتخابات ٢٠٠٤ لأنه كان من الواضح أن المؤمنين التقدميين - كما أسماهم - بحاجة إلى الإعلان عن وجودهم وعمن يعبر عنهم كما أن Talk to Action and Religion Dispatches بدأ للسبب نفسه وهو تقوية صوت جديد للمؤمنين التقدميين.

وعن الدعم المالى أو اللوجستى الذى يمكن أن يشجع المدونين على الاستمرار تقول الدراسة إن المدونات والمواقع الإلكترونية ذات الانتماءات المؤسسية - مثل Spiritual Politics, The Scoop, and The Dallas Morning News Religion Blog غالبا ما تتلقى دعما تقنيا للانطلاق والتطور من مؤسساتها، ولكن أيضا المدونات التى تستخدم خدمات الاستضافة المجانية يمكنها الاستمرار- كما يقول - Benjamin Myers بينما تمنى آخرون من بينهم سلمان حميد مدون Irtiqa حصولهم على دعم تقنى أكبر.

وعن الأسباب التى تدفع المدونين للاستمرار يقول Friedman: السر يكمن فى إقبال عدد متزايد من القراء على مثل هذه المدونات وهو ما جعل Religion Clause تبقى، بينما يقول -Richard Bar

tholomew إن الدعم من المدونين الآخرين ونسب القراءة المعقولة هما ما دفعاته للاستمرار، والوضع كذلك فى المواقع التى تسمح بالتدوين (مدونات جماعية) لأكثر من شخص مثل Talk to Action Killing the Buddha, Streets Prophets, and Religion in American History

وبالنسبة لـ Paul Harvey فإن التدوين على ما يبدو يخلق ويقوى الإحساس بالمجتمع بين الناس وأغلبهم من الباحثين والأساتذة حول التاريخ الدينى لأمريكا ويضيف Benjamin Myers " بالنسبة لى، فإن القسم الأكثر قيمة هو البعد المجتمعى الذى يصنعه التدوين".

والطريف ما تشير إليه الدراسة من أن المدونين الدينيين قد تناسبوا مع ما سموه الانتخاب الطبيعى لفضاء التدوين وأصبحوا يجيدون ما يفعلون عبر تنوع من المناهج والدوافع، وهذا التنوع خلق محتوى متميزا عن شتى الموضوعات والأساليب. لقد ظهرت مجتمعات فكرية جديدة وتعلمت كيف تبقى خارج المؤسسات التقليدية سواء الأكاديمية أو غيرها، وفى هذا الشأن وبفضل هذه الوسيلة السهلة (التدوين) أصبح لدى الناس قدرة على التواصل مع بعضهم حول اهتماماتهم المشتركة، ومن هذه الزاوية يمكن النظر للفضاء التدوينى على أنه عبارة عن مجموعة من الحوارات ذاتية التنظيم والتى تملك أسباب بقائها وتستمر الدراسة فى تفحص أسباب استمرار المدونات والتى بالإضافة إلى الاقتباسات والتعليقات تستمر

لتعمل كمصدر لتجديد الدماء والحياة للتدوين، وبالنسبة لكثير من المدونين فإن الباعث على الاستمرار هو تلك النقاشات التى تأتى من التعليقات أو على مدونات أخرى على ما يكتبون.

وحتى خارج الدوائر الأكاديمية، فإن Heidi Cample تشير فى دراستها Spiritualizing the Interent (2005) إلى أن الروايات المتعلقة بالهوية الدينية توضح أن النشاط الإلكترونى عموما هو فرصة للتواصل مع آخرين لديهم نفس الانتماء والتقاليد الدينية، وأن جزءاً من تثبيت الهوية الدينية كنمط حياة هو إحاطة النفس بالأشخاص أصحاب نفس الاعتقاد ولهذا ووفقا له فإن الإنترنت أصبح مصدرا لكثير من الناس لتحقيق هذا الأمر، وتستمر Campbellll لتنوه إلى أن الأخذ فى الاعتبار بفكرة "جعل الإنترنت روحانيا" ربما توفر لنا زاوية نظر نرى من خلالها الكيفية التى تتعامل بها المجموعات المتدينة مع مابعد الحداثة عبر إبراز الأدوات التي يستخدمونها وإعادة التشكيل الثقافى التى يتبعونها لأدوات الحداثة.

وكما تشير دراسة Understanding Blogging as a Religious Practice فإن رصد أداء المجموعات الدينية عبر التدوين لا يجب أن يقتصر على المسيحية، وللاقتراب من ذلك فهناك ما كتبه Gary Bunt عن مجتمعات التدوين المسلمة بالفارسية والعربية فى الأعوام الأخيرة، والحقيقة أن المدونات التى تتعلق بالمسلمين فى الغرب على وجه التحديد تساهم فى

إثراء النقاش حول الدين والهوية والحداثة بشكل كبير فنظرا لسهولة ويسر استخدام الوسيلة فإن التدوين يشكل فرصة لمن لا يتمتعون بنسبة عالية من التمثيل لهم ولأفكارهم واعتقاداتهم الدينية حتى تجد مكانا وصوتا فى المجال العام، والحقيقة أن حيوية التدوين فى أوساط مسلمى الغرب مثل AltMuslim and MuslimMatters تشير للطريقة التى تساعد بها المدونات الأقليات الدينية للدخول فى نقاشات ذات وزن على الإنترنت مع بعضهم البعض ومع العالم وما وراءه».

ويتعلق الأمر أيضًا بوجود فرص للنقاش والاجتهاد حول الأوضاع الجديدة التى نتجت عن وجود المسلمين كأقلية وما يتطلبه الأمر من النظر فى أطر قانونية وفكرية، والإنترنت والمدونات على وجه التحديد قد تعطى فرصة للأصوات الفردية وللأصوات المستقلة أن تجد من يسمعها خارج المؤسسات الدينية التقليدية وهو أمر ظهر أيضا كباعث على التدوين لدى بعض النشطاء من المجتمعات اليهودية على الإنترنت، فيقول Alan Abby مدير موقع مؤسسة Shalom Hartman وهى مؤسسة تقوم بتدريب الحاخامات وتدير مدارس عليا دينية للبنات والبنين فى دولة الاحتلال «إسرائيل» بأنه قد قام بدراسات عديدة عن استخدام اليهود للـ web 2.0 (لمواقع الشبكات الاجتماعية) ومن ضمن مبادرات مؤسسته استخدام عدد كبير من الأدوات من أبرزها التدوين باستخدام " wordpress ليسمح لنا باستخدام اللغة العبرية ولتدعيم البحث ولممارسة الأنشطة بعيدا عن الأنماط الرسمية".

أما البوذية فوفقًا لدراسة Understanding Blogging as a Religious Practice تم استكشاف الطريقة التى يستخدم بها البوذيون الإنترنت لبناء مجتمعاتهم وهى تزيد من فرص المدونات البوذية لتعمل كأرضية وسيطة لتبادل الخطابات وكذلك كفرصة للعلاج النفسى الجماعى.

الفصل الثالث
المجتمعات الدينية
ما بين التخيلى والواقعى

كثير من الطقوس الدينية المختلفة قد تمارس بشكل جماعى.. ولا تقتصر المسألة على الجماعية بمعناها البسيط فرؤى المتدينين ونشاطاتهم قد تحولهم مع الوقت إلى جماعات يشعر الأعضاء داخلها بشىء من الانتماء والراحة، بينما قد تتحول جماعة دينية ما - إذا ما تطرفت تصوراتها عن نفسها والآخرين- إلى مجتمع دينى انعزالى. ويتجلى السؤال عن علاقة الإنترنت بالأديان- والذى نقتفى أثره عبر سطور هذه الدراسة - فى هذا الفصل بشكل مختلف حيث نطرح فكرة إمكانية خلق مجتمعات متدينة عبر الإنترنت وعما إذا كانت هذه المجتمعات الإلكترونية تنفصل متوازية مع المجتمعات الواقعية أو تعمل كبديل لها أو تتشابك معها، وعلاقة هذا بالبنى والمؤسسات الدينية التقليدية.

يرى البعض أن مجرد الحديث عن المجتمعات المتخيلة هو نوع من البلاغة المثالية الطوباوية فهى مجتمعات كما يصفها Patrick Max-well فى دراسته Virtual Religion in Context قائمة على المصالح لا على البشر، والمجتمعات التى تولدها هى مجتمعات تافهة، مريحة، هروبية، ارتدادية... وقد يقبل المتشائمون بفكرة تبادل الخبرات – بما يشمل الخبرات الدينية – عبر الإنترنت ولكنهم يقرون بوجود نوع من "المخاطرة الاجتماعية" أثناء هذا التبادل.

وعلى الجانب الآخر توجد الرؤية الحالمة التى ترى فى المجتمعات المتخيلة ظاهرة إيجابية تصل فيما يتعلق بالأديان إلى حد استرداد "دفء فناء الكنيسة والقرية الخضراء " – كما يشير "عبد النور إدريس" – بل وفيه عكس (قلب) لعملية التحرر من السماء disen-chantment كما وصفها Max Weber مشيرا إلى عقلنة التصورات عن الكون ففيها عودة للافتتان بالسماء re-enchantment وروحنة العقل ومثل هذه المجتمعات – فى رأى إدريس – قد "تملأ الفراغ الذى تركه (تدهور المجال العام)" وتراجع حيوية المناشط الدينية الغير رسمية.

سؤال واحد وإجابات متناقضة

ولكن السؤال حول ملء المجتمعات الإلكترونية للفراغ الحاصل فى المجال العام الواقعى يتطلب أولا السؤال حول اعتبار الإنترنت وسيلة للتفاعل المجتمعى لا الفردى والشخصى فقط. وهو سؤال توقف عنده عدد من الباحثين ليصلوا إلى إجابات متفاوتة وأحيانا متناقضة. فقد

وجد أن المستوى الفردى من التدين يتناسب عكسيا مع الإنترنت بما يعنى أن مستخدمى الإنترنت يتفاعلون بشكل أساسى على المستوى الفردى أكثر من المستوى المجتمعى، ولكن هناك نتائج ورؤى أخرى تتحدى مثل هذا التصور و تثبت أن الممارسات الدينية على الإنترنت يمكن أن تشجع أو تقوى "شبكات الفردانية"-Networked individualism وهى كما تصفها Campbell" قد تصبح حاملا لتناقض ما بين تقوية العلاقات وترويج الأفعال الفردية والسيطرة الشخصية"، والشبكات الفردانية تقوم على فكرة الربط وتقليص المساحات بين الأفراد. يأتى مترافقا مع مناقشة المساحات على الإنترنت فكرة "انكماش أو انهيار فكرة المسافات (وقد قبل بعض الباحثين بهذه النقطة ولكنهم أصروا على أن فكرة تقليص المسافات لا تعنى عدم صلتها بالمكان) والبعض يرى أن انهيار فكرة المسافة أمر جيد حيث يعطى ذلك طريقًا لأنماط جديدة ومبدعة من العلاقات، ولكن المتشائمين ربما يرون أن (القرب التقنى المصنوع) ليس مثل (الصلة الإنسانية الأصيلة)، «بينما تقدم المجتمعات الإلكترونية الدينية باعتبارها "تتجمع حول قضية إيمانية، من قضية عامة إلى مبادئ روحية أو صوفية إلى نقطة تركيز بعينها على معتقدات دينية مثل النبوءة أو الانتماء الدينى".

وتخرج Campbell من التساؤلات الحدية حول فكرة فردية ومجتمعية الإنترنت لتضع افتراضها الأساسى حول هذه المجتمعات فتبدأ دراستها ليس لتقرير واقعية المجتمعات الإلكترونية، ولكن

لتقرير كيف تعمل هذه المجتمعات، وهى تجادل بأن هذا المجتمع يتم تصويره كشبكة وليس على أساس أو ارتباط بمكان معين... ويمكن إعادة تعريف المجتمع كوحدة تتوقف على العلاقات (الضيقة والتخصصية) للناس (العائمين فى شبكات فضفاضة ودائمة التغير).

الخبرة الروحية بين الفردية والجماعية

وهناك من يرى أن الأمر يتوقف ببساطة على فكرة الدوافع والاستخدامات التى تحدد ما يتطلبه الأمر من فردية أو جماعية وهو خطاب أكد على أن الإنترنت هي أداة تكنولوجية يمكن استخدامها كمسألة معتمدة على الدوافع والرغبات للمستخدمين والمصممين... فهى يمكن أن تستخدم لأغراض دينية بنفس الصورة التى تستخدم لأغراض معلوماتية أو لأى أنشطة أخرى. فالانتباه يكون على البواعث التي وراء الاستخدام.

والحقيقة أن المستويين الفردى والجماعى فى استخدام الإنترنت لأغراض دينية لا ينفصلان غالبا، فكما تقول Campbell "فإن الإنترنت يستخدم لبحث الشخص عن مصيره الروحانى الشخصى والذى يمكن تفسيره عبر رواية الخبرة المشتركة، فهو يبرز الرغبة فى الحرية وكذلك الخبرة الروحية التى يمكن مشاركتها مع الآخرين".

ويشرح Oliver Krueger فى ورقته البحثية The Internet as Distributor and Mirror of Religious and Ritual Knowledge أن بعض الدراسات تعرف الطقوس عبر علاقتها بالحقيقة المجردة للدين على الإنترنت مثل المذابح والأضرحة على الإنترنت.

بينما آخرون يعرفونها بحسب الخبرات الدينية على الإنترنت مثل المراسم على الإنترنت وخدمات العبادة، والبعض يضع الطقوس فى إطار الممارسات المميزة الفردية أو الجماعية مثل الصلاة على الإنترنت أو الترانيم.

وبصرف النظر عن السؤال حول فردانية أو مجتمعية الإنترنت كوسيلة للتواصل حول الأديان وأنشطة المتدينين فهناك واقع تشير له Campbell بقولها بأنه "منذ الثمانينيات هناك جماعات دينية تستخدم الكمبيوتر لتسهيل أنواع جديدة من اللقاءات والتجمعات التى تطفو على السطح". وقد جاء هذا الواقع ليثير فضول الباحثين حول أسئلة بعينها حول طرق تشكل المجتمع فى بيئة وسيطة متخيلة وكذلك أسئلة سيسيولوجية ودينية أخرى عن طبيعة المجتمع على الإنترنت، و تستمر Campbell فى القول بأن دراسات المجتمع الدينى على الإنترنت "لم تبرز الحوافز الدينية - التى تشكل التكنولوجيا بشكل نادر فى البيئات الإلكترونية - فقط ولكنها أبرزت أيضا كيف تمر المجموعات على الإنترنت بعمليات مميزة فى الاندماج على الإنترنت وخارجه".

الهوية فى دراسات الأديان على الإنترنت

وبينما يظل موضوع الهوية مهما فى دراسات الاتصالات والإنترنت، فإن عدد الدراسات التى تركز بشكل خاص على فكرة دراسة الهوية ضمن دراسات الأديان على الإنترنت تعد قليلة نسبياً،

والعديد من بين هذه الدراسات يركز على الهوية الدينية الشخصية، وبشكل خاص على الشباب فى البلاد الغربية وتحديدا ما يتعلق بالأقليات الدينية مثل المسلمين أو غيرهم...

وإذا اعتبرنا أن الإنترنت يعمل كصوت من لا صوت له فإن ذلك يظل اعتبارا صحيحا من داخل المؤسسات الدينية التقليدية التى تحمل بالأساس هماً خاصاً يتعلق بالتحديات التى تواجهها للقيام بمهامها التبشيرية ولكنها وهى تفعل ذلك تناقش هماً عاما يتعلق بقضية الهوية والتأثير مثلما ذكر Fr George Plathottam فى مقال له بعنوان Challenges for Evangelization من أن "المجموعات الإثنية والمجتمعات تبحث عن هوية جديدة للتأكيد على حقوقها واستقلالها... هؤلاء الذين ظلموا لسنوات يودون الخروج عن صمتهم والكلام بشكل معلن وهؤلاء هم الطبقات المظلومة.. وكمثال على هذا فى الأوساط الدينية تظهر النساء فى الكنائس التى يسيطر عليها الرجال وهن يبحثن عن تفسيرات لاهوتية.. أو تصورات جندرية محايدة عن المحتوى الإيمانى وهن فى هذا لا يريدون مجرد قوى وتأثير أعظم، ولكن اشتباك أعمق فى الكنائس... وكذلك الشباب الذين يريدون الكنيسة والدين أكثر واقعية، بما يتطلبه ذلك من تفهم أكبر من قبل القادة الدينيين ليكونوا أقل صلابة وأكثر مرونة وتفهما.. فالشباب يودون أن تكون الطقوس الدينية أكثر ديناميكية وتشبه إيقاع الحياة وأكثر مشاركة وإبداعا".

المجتمعات الدينية الإلكترونية: بديلة أم مكملة؟

وقد اعتنت - Heidi Campbell ضمن دراساتها – بسؤال عما إذا كانت المجتمعات المسيحية الإلكترونية "مكملة، بديلة، أو شيئًا آخر" وبالنسبة للعلاقات ما بين المجتمعات الكنسية الواقعية والالكترونية. ولحد بعيد، فإن نتائج Campbell المفتاحية يمكن تلخيصها كالتالى "١- المجتمع يعمل كشبكة، ٢- المجتمعات الدينية هى شبكات تعتمد على القصص، ٣- المجتمعات الإلكترونية الدينية تكمل بشكل أساسى عمل المجتمعات الدينية الواقعية، ٤- التصاعد المستمر للمجتمعات الدينية الإلكترونية يشكل فرصًا وتحديات للمجتمعات الدينية وغير الدينية على الإنترنت وفى الواقع."

هذا التصاعد المستمر للمجتمعات الدينية الإلكترونية التى أشارت له Campbell أدى إلى تزايد مخاوف بعض السلطات والقادة الدينيين من خروج الأعضاء على سلطة الكنائس والمعابد ليلجأوا إلى غرف الدردشة ومجتمعات الإيميل ذات التركيز الدينى"، ولكن محاولات البحث عن العلاقة بين الانخراط الإنترنتى وخارجه فى المجتمعات الواقعية تتجاوز هذه التخوفات وتطرح تصورات عديدة لطبيعة العلاقة بين النشاط الدينى الواقعى والإنترنتى فوفقا لبعض الدراسات وجد أن مستخدم الإنترنت يربط إيجابيا بين كونه عضواً فى المجتمع أو فى منظمة دينية مع كونه من مستخدمى الإنترنت... ومن جانب آخر فهناك بعض من النتائج الأخرى التى توضح أن الانخراط فى المنظمات الدينية يبدو غير متأثر باستخدام الإنترنت، سواء بالتشجيع أو التشويش.

القيمة المضافة: بين المحلية والعالمية

وتشير بعض الدراسات إلى أن الاستخدام الدينى للإنترنت يمكن أن يكون له أثر إيجابى على المؤسسات الدينية. فقد وجد تقرير PEW للعام ٢٠٠٠ عن "الإنترنت والحياة الامريكية" (لتقصى استخدام الكنائس للإنترنت) أن ٨٣ ٪ من هذه الكنائس والمعابد على الإنترنت تؤمن بأن الإنترنت عاونت التجمعات المسيحية "لتقوية الإيمان والتنمية الروحية لأعضائها عبر الانشطة والممارسات التى توفرها، وبعض من الدراسات المبدئية للخطب الدينية، وتمكين الأعضاء من البقاء متواصلين مع مجتمعهم المحلى". وهذه النتائج قد لاقت صدى في دراسة أخرى لـ PEW للعام ٢٠٠٤ والتى وجدت أن عدداً متزايداً من "الساعين للدين" يستخدمون الإنترنت لاستكمال ممارساتهم الدينية. ولهذا فإن البحث يظهر أن الإنترنت يساعد على الإبقاء على المجتمعات الدينية الواقعية عبر بناء تفاعلات إلكترونية جديدة.

أما القيمة المضافة التى يمكن أن توفرها الإنترنت للبنى الدينية التقليدية فهى الانتقال السلس ما بين المحلية والعالمية بما "يبرز أن الإنترنت هو تكنولوجيا اجتماعية، فهي تلفت الانتباه إلى الكيفية التى يصل الإنترنت بها بين أتباع الديانة الواحدة الذين قد تفرقهم الجغرافيا أو الزمن أو أى من هذه المحدوديات، وهو ما يعطى صورة جديدة للمجتمع العولمى بالنسبة للمتدينين"، وقد تنعكس درجة من الالتزام والتماهى عند بعض مجتمعات المتدينين ليؤكدوا أن هذه

الاتصالات وثورتها تصل لحد وصفهم لها بأنها قد "صممت وبدأها الله ثم تشعبت دوليا". وهم يصفون أنفسهم بأنهم الرواد فى مهمة إلهية وبأن المجتمع (الدينى) لديه إمكانية للتأثير على العوالم الواقعية وكذلك التجهيزات الإلكترونية.

الإنترنت والكنائس التقليدية: مساحة للنقد والدعم معًا

وفى مقالها إلهام "من يملك القوة: السلطة الدينية والإنترنت" اعتمدت Haidi Campbell على عدد من الدراسات والمقابلات السابقة فى تطبيقها على المجتمعات المسيحية بشكل خاص لتبرز عدة أمور من أهمها ما حفزته الإنترنت من رؤية الإيديولوجية الدينية بشكل عولمى بدلا من محلى فوفقا لها "خبرات الإنترنت زادت من الوعى بـ "جسد المسيح" أو "بالكنيسة الأم". حيث يشعر الاعضاء عادة بأن الكنيسة المحلية تحمل رؤية محدودة، وبحسب المقال فقد قالت ربة منزل – فى مقابلة شخصية معها – إن المجتمع الإلكترونى يعطى بعداً لا يمكن الحصول عليه من الكنيسة المحلية وهو منحك منظوراً عالمياً، ويصف الأفراد الذين التقتهم Campbell أنفسهم بأنهم يعملون كجسر بين مجتمعاتهم على الإنترنت وكنائسهم الفعلية بما يخلق وعياً أكبر بالمسيحية من وجهة نظرهم.

وتتنوع مناقشات رجال الدين العاديين – فى مواقع ومنتديات إلكترونية – من برتوكول خدمة مجتمعاتهم الدينية إلى مناقشات أخرى حول موضوعات مثل البيسبول أو مدى لياقة استخدام الكلمات الغير مهذبة.

مثل هذه المناقشات الكنسية الداخلية استوقفت Campbell في مقالها -المشار إليه سابقا - Who's Got the Power? Religious Authority and the Internet ونوهت خلاله إلى ٤ مقابلات كانت قد أجرتها شكلت مجالا لنقد الأطر والهياكل التقليدية للمؤسسات الدينية والذى جاء من قبل رجال الدين في المجتمعات الدينية المحلية ليشير لإحباطهم وإدراكهم لمحدودية البنى التنظيمية الخاصة بمؤسساتهم الدينية على أرض الواقع، وتضيف Campbell أن هذه المقابلات قد حملت إشارات إيجابية - وإن كان بشكل محدود- للنصوص الدينية، و كمثال على هذا ما قيل بأن "الإنجيل يعمل بشكل مشابه للبريد الإلكتروني، فهو يوفر منتدى للمسيحيين للتواصل بكلمات لتشجيع الآخرين بطريقة تتجاوز الوقت والمكان"، وتمادى عدد ممن تم مقابلتهم من المسيحيين الإنجيليين بقولهم بأن الإنترنت قد أصبح مصدراً لتيسير أو تحويل فهم المستخدم للمجتمعات الإيمانية المتشابكة عالميا والتي يمكن أن تؤكد أو تتحدى الأفكار التقليدية للبنى الدينية والإيديولوجية. فالإنترنت يمكن أن تخلق وسيلة جديدة وأحيانا مفضلة للتواصل الروحاني والاجتماعي، وتشير Campbell إلى أن هذا صحيح بشكل خاص فيما يتعلق بالمسيحيين الإنجيليين والذين دائما ما يدافعون عن شبكات علاقاتهم مع البنى الكنسية خاصة حيثما تبدو الكنيسة المحلية محدودة بشكل ما.

ومن جانب آخر رأى أمين مكتبة وعضو مجتمع إنجيلي إلكتروني - كانت Campbell قد قابلته ضمن دراستها - بأن المجتمعات

الإلكترونية يمكن أن تعمل كجسر للنماذج العادية للحياة الكنسية المحلية، وفسر رأيه بقوله: "أعتقد أن المجتمع الإلكترونى يضيف إلى (الكنيسة المحلية) وأعتقد أن لهولاء الذين لا يفهمون البناء الخاص بالكنيسة فإنها لطريقة رائعة لبداية فهم كيف تتناغم أجزاء وأقسام الكنيسة معا وتيسر البنى الكنسية مثل اجتماعات مجلس الكنيسة وقوائم الصلوات"، بهذا استنتجت Cambpell أن الإنترنت يتميز بتوفيره الدعم للبنى التقليدية، وفى الوقت نفسه توفير مساحة لنقد الكنائس فى الواقع، والتى عادة ما يتم تقييمها على أساس خبرة الأعضاء من داخل المجتمع المسيحى على الإنترنت، وهو ما ينقلنا من مناقشة رؤى المجتمعات الدينية إلى الفصل الأخير – من هذه الدراسة – حيث الجدل بشأن بنى المؤسسات الدينية وعلاقاتها المتداخلة مع تطبيقات الإنترنت.

الفصل الرابع
المؤسسات الدينية.. السلطة والمشاركة

فى اليوم العالمى للاتصالات خصص بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر رسالته – التى نشرت على الموقع الرسمى للفاتيكان فى ١٦ مايو بعنوان "The Priest and Pastoral Ministry in a Digital World:New Media at the Service of the Word" - لتشجيع رجال الدين فى البدء بالتدوين واستخدام الإنترنت ووسائل الإعلام الاجتماعية فى التواصل بشكل أفضل مع حشودهم، وفيها قال البابا فى رسالة: "يقف الكهنة على عتبة عهد جديد، فالميديا الجديدة تخلق أنماطاً أعمق من العلاقات عبر المسافات" ودعا البابا الكهنة للرد رعويا بوضع الميديا في خدمة الكلمة بشكل مؤثر.

وإذا كانت الكنيسة الكاثوليكية بتركيبتها التراتبية الكلاسيكية الجامدة قد استجابت بهذا الحماس للتواصل مع وسائل الإعلام

الجديد، فإن هـذا قد ينبئنا بصورة ما عن حرص المؤسسات الدينية المختلفة فى الغرب على استغلال التكنولوجيا الجديدة فى القيام بوظائفها التقليدية الراسخة منذ قرون، وهو ما أجده بالفعل فى دعوة المطران البريطانى روبرت إيفان لتقديم الخلاص عبر مصدر غير معتاد وهو الفيس بوك، وجاءت تفاصيل دعوته فى تقرير نشرته صحيفة The Telegraph فى ٢٤ فبراير ٢٠١٠ تحت عنوان Bishop offers salvation over Face-bookوفيه أن المطران إيفان قد دعا أى شخص فى حاجه إلى الصلاة لإرسال طلباته – أثناء الصوم الكبير – عن طريق البريد الإلكترونى أو الرسائل النصية من خلال مواقع الشبكات الاجتماعية، وقال إن الصلاة ذات أهمية كبيرة سواء لرواد الكنائس أو لغيرهم.

ولكن هذا لا يمنع حالة من التوتر الشائع لدى السلطات والقيادات الدينية – كما تشير Campell فى دراستها Religion and the Internet (2006) - من خروج الناس من "مقصورات الكنائس والمعابد لغرف الدردشة ومجتمعات البريد الإلكترونى التى تركز على الدين"، وهو ما يبرز أهمية البحث فى العلاقات بين الانخراط على الإنترنت والنشاط الدينى فى الواقع، وتناقش نتائج مثل هذه الأبحاث الهاجس بأن الاشتراك فى المجتمعات الإلكترونية الدينية يمكن أن يشتت التركيز ويلهى عن الانخراط المجتمعى ومن بين أنشطته المشاركة الدينية.

وقد أظهرت بعض النتائج - كما ذكرنا سابقًا - الربط الإيجابى بين كون المستخدم نشطا على الإنترنت وكونه عضوا فى مجتمع أو منظمة دينية، وأظهرت نتائج أخرى أن الانخراط فى المنظمات الدينية يبدو غير متأثر حاليا باستخدام الإنترنت سواء بالتشجيع أو التشتيت من الاشتراك فى المجموعات الدينية.

ولكن السؤال الأهم الآن هل استخدام وسائل جديدة للقيام بأدوار ممتدة عبر الزمن هو أمر يتعلق فقط بتغيير فى الشكل وتسيير للوظائف المتعددة للمؤسسات الدينية أم أن الأثر الذى يمكن أن يحدثه استخدام وحضور وسائل الإعلام الجديد يتجاوز مسألة الشكل ويحقق تغييرا أعمق فى طبيعة فهم وتطوير أدوار المؤسسات الدينية التقليدية وهو الأمر الذى تبناه - منذ عقود - مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan حينما أعلى من قيمة الأثر الذى تتركه طبيعة الوسيلة الإعلامية على محتوى الرسالة التى تحملها حينما قال "الوسيلة هى الرسالة" The Medium is the Message، أما الأثر الثقافى والاجتماعى لوسائل الإعلام فقد سبق الحديث عنه بثقة كبيرة فى سياق تقييم أثر وسائل الإعلام التقليدى (الجماهيرى) حيث قيل إنه بمجرد أن يمتلك قروى جهاز راديو ويستمع للبث تكون عزلة قريته قد انتهت.

وبينما تتنوع الدلالات التى ترتبط فى أذهاننا بـ "المؤسسات الدينية" يظل مفهوم "السلطة" - التى تمثلها هذه المؤسسات - يلقى بظل رئيسى فى الجدل الدائر بشأن حضور وعمل هذه المؤسسات.

ويختلف تأثير "المؤسسات الدينية" بحسب السياق الديني واللحظة التاريخية التي تعمل فيها هذه المؤسسات. وللوهلة الأولى تبدو الإنترنت كمبدد لفكرة السلطة بشكل عام والسلطة الدينية على وجه التحديد، لكن وضع المؤسسات الدينية على الإنترنت وأشكال التمثيل المختلفة لهذه المؤسسات إلكترونيا يساعدنا على فهم أثر الإنترنت على شكل ومضمون السلطة الدينية.

المؤسسات الدينية والمحاكاة الجمعية على الإنترنت

وقد أوضح Richard Thieme في مقاله "الشكل المستقبلي للبنى الدينية" أن ما يجمع بين التجارب الدينية المختلفة في ظل ثورة تكنولوجيا المعلومات هو علاقة تكافلية تنشأ مع هذه التكنولوجيا حيث "تتعطش الإنسانية الرقمية للكمال والمعنى، للخلاص والشفاء، وباختصار لتحول روحي حيث تتطور البنى الرقمية... وتحول طريقتنا في فهم المعنى وتشكيل أنفسنا وثقافاتنا كأشياء ذات مغزى واستخدام الاستعارات التي خلقها التفاعل التكنولوجي الجديد." يتحدث Thiemeعن التجربة الدينية التي تتحول إلى نصوص وصور وبنيات رمزية من خلال واجهة رقمية تحقق ما يشبه المحاكاة الجمعية وهو يمنح في تحليله لأجهزة الكمبيوتر صفة الفاعل لا المفعول به فهو يراها تشكل واجهة لتطور مواز يعبر عنه بمنحنى... هذا المنحنى "يولد حياة مجتمعية تعمل بواسطة الرموز الرقمية التي هي عبارة عن بنى مدمجة من صفات الأفاتار، الذكاء الاصطناعي، تطبيقات جافا وغيرها من حقائق ناشئة في شبكة الحاسوب الموزعة

فى العالم وبعضها يعمل كوسيط للتجربة الدينية ويحكم حدود المجتمعات الروحية ". ويتمادى Thieme فى تقديره أثر العالم الافتراضى حيث يراه سيقود تحولات المؤسسات وسيغير من شكل البنى الدينية، ولكنه يعود ويؤكد العوامل الاقتصادية والثقافية التى تؤثر على البنى الدينية حيث يقول إنه سيتحدد شكلها وهياكلها وفقا للمكان الذى سيخلقه لها الاقتصاد العالمى أحادى القوة وكذلك العلاقات الديناميكية بين الثقافات المختلفة وهو أثر سيمتد للجميع حتى من أسماهم بالأصوليين فى الأديان المختلفة والذين رأى أنهم يشبهون بعضهم أكثر مما يشبهون الحداثيين ممن هم على نفس دينهم، ويرى Thieme أن فى التجربة الدينية رحلة واحدة "فهى استكشاف للفضاء الداخلى والخارجى فى آن واحد... وهى فى هذا توسيع للوعى الذاتى من خلال الزمان والمكان".

قد يكون من المفيد ذكر الخطوط والتمايزات المختلفة ولكن ذلك لا يرفع الخريطة المعقدة لحضور وتمثيل المؤسسات الدينية على الإنترنت بل والأصعب وهو رصد الأثر الذى يمكن أن تحدثه الإنترنت على بنى السلطات والقوى الدينية خاصة التفاعلات الداخلية لهذه القوى الدينية.

الاستماع

فى مقالها الهام Who's Got the Power? The Religious Authority and the Interent تركز campell على تعريف مفهوم "السلطة على الإنترنت"، وعليه فقد توقفت تحديدا عند تقديم ما تعنيه

"السلطة" فى حد ذاتها حيث استعرضت ما يزيد عن ١٠٣ مقالات لتجد أن التعريف السائد للسلطة عادة ما يتم ربطه بالبنى الرسمية، النظم، والتراتبية، وهو ما يذكرنا تحديدا بالهيراركية التى تتمتع بها السلطة الدينية المسيحية على وجه التحديد والتى تغيب فى الإسلام لصالح شكل أكثر مرونة واندماجا للمؤسسة الدينية فى المجال العام. وتضيف Campbell أن ثانى أكثر الاستخدامات شيوعا يشار عبره إلى دور أو شخص أو هيئة بعينها ومدى قوتها، ويلى ذلك توظيف السلطة كمفهوم عام يتعلق بمصطلح القوة، وتشير "السلطة " أحيانا لفكرة "السلطة الأيديولوجية " أو "الأخلاقية" كما تعرف السلطة الثقافية بأنها "القوة لتعريف ووصف الحقيقة"، أما التصنيف الذى وضعه "ماكس فيبر" Max Weber للسلطة والذى تحول لعمل كلاسيكى فقد آثر أن يناقش ما يعطى السلطة شرعيتها فيقول فيبر "إنه من المفيد تصنيف نوعيات السلطة وفقا لطبيعة ادعاء الشرعية لكل منهم وهو يحدد ثلاثة أنواع للسلطة "الشرعية القانونية، التقليدية، والكاريزما".

الإنترنت والحكم الدينى الذاتى

يمكننا أن نجد بسهولة صلة بين هذه التعريفات العامة للسلطة وتعريف السلطة الدينية على وجه الخصوص. وتشير Campbell إلى أن فكرة السلطة لا تتعلق فقط بالناس (أى بالقادة الدينيين) ولكن أيضًا بالنصوص، الأيديولوجيات، ونماذج التفاعل... وهى عناصر يمكن أن نجد أغلبها فى المؤسسات الدينية. وكما أشير فى

الفصل المتعلق بالمجتمعات الدينية على الإنترنت هناك شكوك حول دور الإنترنت فى منازعة السلطات الدينية التقليدية وخلخلة مكانتها، وهذه الشكوك تبدو غير مؤكدة ومتضاربة فى بعض الأحيان فهناك من يرى أن الزخم الدينى المتزايد على الإنترنت له أثره لخلق ما يشبه الحكم الذاتى للنفس ويسمح باختيار الأفراد لما يرونه مناسباً في استهلاك التجارب الدينية الإلكترونية بما قد يسفر عن الانسحاب من دور العبادة، وعلى الجانب الآخر يرى البعض الإنترنت كمكان يمثل فرصة لإحياء النفوذ المتراجع للمؤسسات الدينية.

ولكن هناك تمييز بين أنواع المؤسسات الدينية والتى قد تتوافق مع خصائص الإنترنت بينما يصعب تخيل ذلك بالنسبة للمؤسسات الدينية المرتبة ترتيًبا رأسيًا جامدا وهو ما تؤكد عليه إشارة (1997) Jeff Zaleski من أن الواقع التخيلى (أو الإنترنت) مرتب بشكل أفقى (مضاد للتراتبية الرأسية) كما يشير- Paulo Apolito – فى نفس الإطار– إلى أن " الضحية الأولى للإنترنت هى سيطرة المؤسسات التقليدية".

وفى تمييز آخر يتحدث Christopher Helland فى "تصفح الإنترنت من أجل الخلاص" يتحدث عن المواقع الدينية الرسمية وغير الرسمية، فيستشهد بتعريف الدين الرسمى كمجموعة من المعتقدات والممارسات يحددها وينظمها اجتماعيا – على وجه الخصوص – الجماعات الدينية "أما الدين الغير الرسمى فهو مجموعة من المعتقدات الدينية وشبه الدينية والممارسات التى لم يتم قبولها من الجماعات الدينية التى لا تعترف بها أو تسيطر عليها".

وبشكل أعمق يقدم Richard Thieme فى مقاله "الشكل المستقبلى للبنى الدينية" مستويين لجميع الهياكل الدينية أحدهما هياكل متغيرة: ملزمة بالزمان والمكان وتشمل أشكال التجربة الدينية، ويأتى فى المستوى الآخر البنى الفوق هيكلية meta-structures وتشمل وتتجاوز جميع الهياكل المتغيرة سواء الفعلية أو المحتملة. وأعتقد أن Thieme كان يقصد بالبنى الفوق هيكلية ما تحدث عنه فى موقع آخر وعرفه بالسياق الثابت للنصوص المؤسسة على الأديان الرئيسية في العالم وما قدمه - بحسب تعبيره - للبشرية أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد.

وبما إن مسألة السلطة على الإنترنت تعد أحد الموضوعات الناشئة فهى تثير عدداً كبيراً من الأسئلة ومن أبرزها كيف يمكن للإنترنت أن تتحدى أو تخلق أشكالاً جديدة من السلطة الدينية على الإنترنت وقد تصدت مؤسسة Hartford لذلك فى دراسة عن مواقع التجمعات الكنسية لتعكس التفكير فى كيف يمكن أن يخلق الإنترنت هياكل وأدواراً للسلطة الجديدة، واحدة من هذه النتائج هي الاعتماد المتزايد على الإنترنت فى تغير قوى وبنى التجمعات الكنسية وتمكين ما اعتبر سابقا " التقنيين المهمشين" بأدوار قيادية جديدة مثل "مشرفى المواقع" فمشرفو المواقع والمنسقون الإلكترونيون بدءوا يظهرون كوكلاء للسلطة، واستكشاف آثار هذه الأدوار على بنى السلطة الدينية أصبح مساحة اهتمام مفتاحية للباحثين وكما تؤكد

Campbell فى تحليلها فإن دراسات الأديان على الإنترنت تمدنا بمعلومات قيمة للباحثين والممارسين الدينيين على السواء وتساعد على "فك شفرة الأنماط المتنامية للتعابير الدينية على الإنترنت" بحسب تعبيرها.

وهناك أيضًا عدد من المسوح والتقارير الكمية السابقة التى حاولت رفع واقع استخدام الإنترنت لأغراض دينية كتلك التى تناولت الولايات المتحدة الأمريكية وظهرت فى إصدارات متتالية لمركز Pew للأبحاث والتى لاحظت أن أغلب الأنشطة المفضلة لمن يتصفحون الإنترنت لأغراض دينية كانت فردية تكمل انخراطًا فى نشاط دينى واقعى، وأنه بجانب الاستخدام المتزايد للإنترنت لأغراض دينية تأتى مسألة إعادة تشكيل الأفكار حول تعريف ما يعنيه أن تكون دينيًا أو روحانيًا فى المجتمع.

الإنترنت وإدراكات أصحاب الأديان السماوية

أما اللقاءات التى عقدتها Heidi Campbell ما بين عام ١٩٩٩ وحتى ٢٠٠٤ فهى تعطى بعدًا مقارنًا بين الأديان الرئيسية الثلاثة فقد عقدتها مع طلاب مسلمين ومسيحيين ويهود لتستكشف كيف يؤثر الانخراط على الإنترنت على إدراكات الأعضاء ونشاطهم فى مجتمعاتهم الدينية على الإنترنت وفى الواقع. وكانت مجموعة اللقاءات التى تمت مع الطلاب المسلمين فى كلية القاسمى وهى كلية وصفتها Campbell بأنها للمسلمين الصوفيين بإسرائيل (فلسطين

المحتلة) تركز على كيفية إدراك الطلاب لدينهم كمسلمين بما يؤثر على فهمهم للتكنولوجيا وتحديداً الإنترنت، وشملت مجموعة أخرى من اللقاءات مع طلاب وأعضاء هيئة تدريس يهود بجامعة حيفا فى إسرائيل (فلسطين المحتلة) فركزت على الكيفية التى تقود بها الثقافة اليهودية والإيمان الدينى الاستجابات الشخصية والجماعية لتكنولوجيا الميديا.

وعموماً فإن هذه اللقاءات تماست بشكل رئيسى مع ما يتعلق بأداء المؤسسات الدينية على الإنترنت وأثر ذلك على الواقع فقد تم تناول تأثير الإنترنت على التسلسل الهرمى الدينى، والهياكل الدينية، والإيديولوجية الدينية (المعتقدات الشائعة، أفكار الإيمان، أو الهوية المشتركة) والنصوص الدينية، وقد ركز التحليل الخاص بالتسلسل الهرمى الدينى فى دراسة Campbell على أدوار وتصورات القادة الدينيين أو رموز السلطة فيما يتعلق بالإنترنت، وقد أكدت التعليقات التى قدمها المتدينون من المسلمين واليهود بشأن دور القيادات الدينية التقليدية (الحاخام، الإمام، رجل الدين) على أهمية مكانتهم فى المجتمع كمفسرين للمعرفة والممارسة الدينية، وكان المسيحيون واليهود من غير المتدينين أكثر انتقادا لدور رموز السلطة الدينية فيما يتعلق بإيمان المجتمع وممارساته ولاسيما فيما يتعلق بالإنترنت. هذا الاختلاف بين الأطياف المختلفة لمتدينين وغيرهم عبرالأديان المختلفة يثير مسألة كيف يمكن للإنترنت أن يؤثر بشكل مختلف عن بعض تصورات

المجتمعات الدينية للأدوار الدينية المعترف بها رسمياً، وهناك من الدراسات ما يسلط الضوء على الحاجة إلى النظر فى ظهور أدوارٍ جديدة وتأثيرها على هياكل السلطة التقليدية فى الواقع.

كما أوضحت التعليقات على التراتبية الدينية المسيحية أن قساوسة الكنائس الواقعية لديهم موقف متناقض تجاه انخراط الأعضاء الدينيين على الإنترنت وفى حالات ثلاث وصف الكهنة بأنهم مهتمون ولكنهم مشغولون جدا ليكونوا منخرطين بأنفسهم فى التفاعلات الإلكترونية.

وحول وضع القادة الدينيين اليهود وهل يمكن اعتبارهم صانعى قرار فيما يتعلق باستخدام الإنترنت فى مجتمعهم، فإن اللقاءات التى أجرتها Campbell قد أسفرت عن وصفهم بأنهم يؤطرون النقاش – بدلا من كونهم صانعى قرار– باستخدام مفاهيم اجتماعية. وهذا أثبتته تعبيرات جماعية مثل "غير مسموح لليهود المتدينين ب..."، "سيقول مجتمع المتدينين اليهود..."، "نحن المتدينين علينا تجنب..." وبهذا فالمجتمع يدعم نظاماً تاريخياً للسابقين، نظماً دينية، وإجماعاً ضمنياً.

أما الطلاب المسلمون فقد أكدوا أن السلطة الدينية تبرز عبر طرح آراء الزعماء الدينيين الذين يدينون الاستخدامات السيئة لشبكة الإنترنت ونقل اثنان من الطلاب أمثلة على أنهما سمعا الخطب فى المساجد المحلية للتحذير من "الجانب السلبى للإنترنت" أو عبر آراء البعض الآخر الذين يوفرون التعليمات حول الكيفية التى يمكن

استخدام الإنترنت بشكل إيجابى لخدمة الإسلام. وقد ذكر أنه فى حين يسلط بعض القادة الدينيين الضوء على التحذيرات حول الإنترنت يشجع البعض الآخر على استخدام شبكة الإنترنت لخدمة الدعوة. وتقول Campbell أنه فى كلتا الحالتين يتحدث الطلاب المسلمون عن آراء القادة الدينيين باحترام شديد وتقدير لقيمة هذه الآراء، وعموماً فإنه ينظر للسلطة الدينية نظرة تقدير وعلى أنها توفر التصور للتأثير المحتمل للإنترنت.

هذه الإجابات التى قدمها الطلبة المسلمون دفعت ب Campbell للتساؤل حول مدى قدرة السلطات الدينية فى الواقع على الاحتفاظ بأدوارها وتأثيرها فى ذلك الانخراط الإلكترونى لأعضاء المجتمعات الدينية المختلفة. كما أكدت على ضرورة استكشاف المزيد من الأدوات البلاغية التى تستخدمها السلطات الدينية للحديث حول التكنولوجيا والدين والنظر فى السياق الذى يعمل فيه القادة الدينيون المحليون خاصة فى المجتمعات الدينية التقليدية التراتبية.

ومن جانب آخر تطرح Campbell كيف أن الإنترنت يخلق إمكانات جديدة للزعماء الدينيين، ولهذا يصبح من المهم دراسة كيف يؤثر إشراك الزعماء الدينيين أو عدم مشاركتهم على الإنترنت بما قد يؤثر على الأداء المحتمل لهؤلاء الزعماء الجدد فى الواقع وعليه فينبغى الاهتمام بدراسة الكيفية التى تظهر بها رموز دينية جديدة على الإنترنت وتأثير هذه الرموز باعتبارهم من المفسرين الجدد داخل مجتمعاتهم المحلية وعلى ديانتهم ككل.

وفى السياق نفسه تظهر العلاقة بين البنى الدينية والاستخدامات التكنولوجية حيث تعرف البنى الدينية بأنها خطاب دينى معلوماتى يعمل كقناة لنقل المواقف الرسمية والتعاليم عن كيفية استخدام المجتمع للتكنولوجيا، ولكن وضع المعايير لا يمكن أن يظل جامداً وغير متأثر بالأجواء الاجتماعية المصاحبة وكمثال على هذا فقد حظر بعض الحاخامات الأرثوذكس من اليهود استخدام الإنترنت ولكن مزاياه من حيث السماح للنساء بالعمل فى المنزل جعله حظرا لا يمكن طاعته بسهولة. وتقول Campbell إن المناقشة حول الإنترنت لم تنته فلا يتوقع إذا سألت أحد أعضاء المجتمعات اليهودية الأرثوذكسية أن يقول إن الإنترنت جيدة أو بها مزايا ولكن سيتم وصفها بأنها تستخدم لأغراض شخصية فلا تعمم طرق استخدامها على المجتمع.

وفى المقابلات المسيحية تم التأكيد على الدور الذى تقوم به الإنترنت وينعكس لجعل أداء سلطة الكنيسة أكثر شفافية وتفهما وتتزايد قيمة هذا فى خلق شبكة اجتماعية وروحية للكنيسة من خلال شبكة الإنترنت بما يسهل أنماط العلاقة داخل الطوائف الدينية على الإنترنت، كما أن الإنترنت تخلق تحديا للسلطة الدينية فى المجتمعات الأصولية فعلى سبيل المثال هى توفر "فرصًا أفضل للأصوات النسائية فى أن يتم الاستماع إليها"، ولا يجب أن يقتصر تكيف الكنائس (بل والمؤسسات الدينية عموما) مع الإنترنت ولكن أيضا

مع السياقات المحلية والاجتماعية التى تعمل فيها حيث يجب أن تكون الكنائس فى حوار مستمر مع ثقافات ولغات السكان الأصليين، ومقاومة إغراء فصلهم بعيدا باتجاه الثقافات واللغات المهيمنة، بل وتوجيه مهمة الكنائس من أجل إدماجهم وليس توسيع الفجوة القائمة.

الـ Glocal وتشكيل الهوية

وبالرغم من هذه التوصية باحترام السياقات المحلية فالمناقشات التى دارت حول فكرة السلطة الدينية فى لقاءات Campbell غالبا ما ركزت على بناء صورة واحدة عالمية دينية للمجتمع وفى المقابلات المسيحية وصف المجتمع على الإنترنت بأنه جماعة الصوت الواحد أو "الجسد العالمى للمسيح".

وهناك رؤية أخرى أكثر تركيبا ترى أن التفاعل – عبر الإنترنت – يشجع توليفًا جديدا هو "جلوكال Glocal أو العالمية/ المحلية" التى تعيد تشكيل الهويات الدينية وتجعلها تنتقل بديناميكية بين المستويات المختلفة ما بين المحلية والمفهوم الأممى العالمى. وهذا يعنى أن فهم تعريف ما ينظر إليه على أن المعتقدات المشتركة أو خصائص المجتمع الدينى قد تتغير حيث يتم تقاسم وجهات النظر المحلية للمجتمعات الدينية ومناقشتها فى منتدى عالمى.

وكما يتم تكييف عمل المؤسسات الدينية التقليدية لتلائم ظهورها على الإنترنت يتم تشييد مواقع الإنترنت ثقافيا بطرق تتكيف مع احتياجات التسلسل الهرمى للأصولية الدينية.

أما فى المقابلات اليهودية فقد تم التركيز على مناقشة هياكل السلطة التقليدية والدور الذى تلعبه المجتمعات اليهودية فى إنشاء وصيانة أنظمة معينة وتشكيل هوية بعينها. وعلى سبيل المثال فقد أبدى من تمت مقابلتهم - من الطلاب اليهود - التمييز بين الجماعات الدينية المختلفة (السفارديم الأرثوذكس، الأرثوذكس أشكنازى، الحريديم/ ألترا أرثوذكس، وما إلى ذلك) بأنهم مجتمعات محلية يتميز كل منها عن الآخر بجذورهم العرقية، ومع هذا فقد أكدوا أن الجماعات تتشارك فى مستويات مماثلة من الالتزام الدينى أو التشدد، مما يؤكد الفكرة القائلة بأن الجميع "اليهود المتدينين" يتشاركون معتقدات وممارسات بعينها، وهو ما يوفر تماسكًا للأفراد ويساعد على وجود إطار مفاهيمى لمجتمع واحد. وقد ركزت بعض المقابلات فى تعليقها على فكرة السلطة فى المجتمع الألترا أرثوذكسى (المتشدد) وهى الطائفة اليهودية الأكثر تحفظا، وتتميز هذه المجموعة برفضها للكثير من جوانب الحداثة، والقواعد الصارمة للحياة وارتداء ملابس الأجداد التى كان يتم ارتداؤها فى أوروبا فى القرن الثامن عشر.

يهيمن الدين فى مجتمع الألترا أرثوذكس والذى تأتى فيه الهوية الجندرية أو الشخصية تالية للهوية الدينية" لأن الأيديولوجية الدينية تسبق الأشكال الأخرى من التعريف، ويعمل الدين كقوة دافعة، يمثل اليهود ألترا أرثوذكس "كمجتمع صاحب صوت واحد".

كما ركزت اللقاءات مع طلبة يهود وأعضاء هيئة تدريس فى جامعة حيفا على التعاليم الدينية والمجتمعية حول التكنولوجيا. وتم سؤال من يمثلون مقطعاً عرضياً من سكان فلسطين المحتلة من الإسرائيليين يمثل تباينات السكان فيما يتعلق برؤية الدين والتدين فأربعة منهم وصفوا أنفسهم بأنهم غير متدينين أو مقيمين لشعائر ديانتهم اليهودية (ووفقا للدراسة فهى المجموعة الشائع وجودها فى إسرائيل) واثنان منهم وصفا أنفسهما بأنهما أرثوذكسيان حداثين (وهؤلاء تقريبا يمثلو ثلث السكان) وواحد منهم هو من المتشددين الدينيين (وهم حوالى ٦٪ من السكان)، وأربعة من "العلمانيين" اليهود والذين كانوا منخرطين فى مشاريع بحثية تستكشف استخدام الإنترنت فى أوساط اليهود المتدينين وبالتالى كانت لديهم القدرة على إعطاء آراء مهمة عن الإيمان الدينى المرتبط بالإنترنت.

الرؤية اليهودية للتكنولوجيا بين الأرثوذكسية والحداثة

والنقاش حول الإنترنت واليهودية ركز على أمور أساسية مثل العلاقة بين الفروض الدينية والقواعد الرسمية من جانب والتكنولوجيا من جانب آخر، وفى السياق نفسه تضم الـ Mitzvot (أو القواعد الدينية) أموراً مثل اعتبار يوم السبت يوماً مقدساً (والذى يبدأ من فجر الجمعة إلى غروب يوم السبت)، وقد تمت الإشارة – فى خمس مناسبات أثناء هذه اللقاءات – إلى استخدام الكهرباء والتكنولوجيا بشكل يتناسب مع قدسية "السبت" لإعطاء

أمثلة على الكيفية التى يقود بها القانون اليهودى استخدام التكنولوجيا، ووصفت الإنترنت بأنها تكنولوجيا تمثل تحديات جديدة لتفسير كيف يرتبط استخدامها بنظم الممارسات الدينية المعروفة لليهود المتدينين.

أما من تم مقابلتهم من الأرثوذكسيين الحداثيين فقد أكدوا أن الدين لا يؤثر بشكل مباشر على استخدام الإنترنت، وبدلا من ذلك فللدين حضور فى جميع مناحى الحياة بحيث يصبح جزءاً لا يتجزأ منها وغير مرئى حتى.فى سياق توجيه الخيارات حول التكنولوجيا، ويظهر الدين فقط عندما يتم التأكيد أو تحدى ممارسة بعينها.

أما فيما يتعلق بسلطة النصوص الدينية - فى سياق اللقاءات التى أجرتها -Campbell فقد استقبلت سلطة النص الدينى بأقل قدر من الاهتمام فى المقابلات، إلا فى تعليقات من الطلاب المسلمين حول دور القرآن الكريم فى وضع معايير ومبررات لاستخدام التكنولوجيا، فقد أكد الطلاب المسلمون على دور النص الدينى كمصدر للسلطة ووصفوا القرآن بأنه الدعم أو النظام الأساسى الذى تنبثق منه جميع المعارف وأن القرآن يشجع صراحة على التعامل مع التكنولوجيا وبالتالى الإنترنت.

وأكدت Campbell ضرورة وجود نقاش أعمق حول دور النصوص الدينية التقليدية وإذا كانت ستلعب نفس الدور كمصدر للسلطة فى السياق الدينى على الإنترنت.

ولا تقتصر مناقشة النصوص الدينية على مقارنة طبيعة الدور الذى تقوم به (سواء على الإنترنت أو فى الواقع) وإنما أيضا بما تعكسه خصائص الإنترنت على عملية قراءة النصوص الدينية وتفسيرها ويأتى على رأسها الـ hyper text أو النص التشعبى فكما قال أحد من تمت معهم المقابلات عن قراءة الإنجيل "فى الحقيقة، أنا أحتفل باللغة الإنسانية الجديدة التى تنشئ أدبيات جديدة وهى النص التشعبى. هذه اللغة تفرض طريقتها فى الكتابة والقراءة، ولكن بالنسبة لى ما يهمنى كشخص ذى إيمان هو أن النص التشعبى يحمل وبشكل مدهش تماثلاً مع النص الإنجيلى. فإذا ما اعتبرنا كيف يقرأ شخص الإنجيل، نجد أن الطريقة الأسوأ لقراءة النصوص المقدسة هى قراءتها بطرق خطية غير مفسرة من البداية للنهاية، فيفضل بشدة أن يتم التجول بشكل دائرى عبر وحول الأشعار والتاريخ والملاحم والحكايات الرمزية".

وحتى فكرة ربط قراءة النص بالواقع جاءت فى حديث Karl Barth الذى وصفه Thumma بأنه كان واحداً من علماء اللاهوت العظماء فى القرن ال٢٠ حيث كان يعلم تلامذته دراسة الإنجيل فى يد والصحف اليومية فى اليد الأخرى، واليوم – ووفقا لـ Thumma فإن البحث فى صفحات الإنجيل يمكن أن يتم بشكل أفضل عن طريق الولوج إلى الإنترنت واتباع النصوص التشعبية المقدسة بشكل واحد وسلس بما يوحى بإعادة صياغة الآية

الافتتاحية لأنجيل القديس يوحنا: فى البدء كان الويب (بدلا من الكلمة)، وهو ما يتسق مع ما رآه Richard Thieme من أن الإنسانية قد مرت بعهود أربعة من تكنولوجيا الكلمة وهى: الخطابة، الكتابة، الطباعة، ووسائل الإعلام الإلكترونية التى وصفها بأنها "أنجبت أشكالاً مميزة من الروحانية والتجربة الدينية".

وهناك مقاربة أراها درامية ولافتة فبنيويا، يرى الباحثون أن المشترك بين الميديا الإلكترونية وثورة الطباعة فى بدايات الحداثة أكثر مقارنة بما بين الميديا الإلكترونية الجديدة ووسائل الاتصال الجماهيرى التى ازدهرت فى وقت متأخر من الحداثة وأن المجال العام أكثر قابلية للمقارنة بالصالونات والمقاهى فى وقت مبكر من الحداثة من المجتمع الجماهيرى المشبع بالوسائل الإعلامية والذى رآه Habermass فى وقت لاحق من الحداثة.

وهذه المقاربة تعطى انطباعا بأن الإنترنت أعطت فرصة شبيهة بما أعطته ثورة الطباعة من تمكين الفرد من تحصيل المعارف الدينية دون وسيط وتتميز الإنترنت بأنها أتاحت كذلك فرصة التفاعل المباشر مع هذه المعارف المنتجة.

المعرفة الدينية والمصادر المفتوحة

وقد قدم من تناولوا الخطابات الإسلامية على الإنترنت تحليلا يشدد على فكرة عودة المعرفة الدينية كنظام مفتوح المصدر Open Source عبر الإنترنت وفى هذا إحياء لنظم المعرفة النبوية فـ Bunt يقول "الشبكات الجديدة مثل الشبكات التقليدية فى زمن النبى محمد

(ص)، عندما تطورت المعرفة الدينية كنظام مفتوح المصدر فقد تعاون - تماما مثل الويكيبيديا - الخبراء وغير المتخصصين فى تطوير الآفاق بشأن المعارف الدينية."

و بصرف النظر عن مدى دقة هذا التوصيف فإن Gary Bunt بدا مقنعا حينما رأى جمع الأحاديث النبوية وتدقيقها فى ضوء مفردات عصر تكنولوجيا الاتصالات حيث يقول: "لقد سافر العلماء فى جميع الأنحاء لإجراء اتصالات مع شبكات فى جميع أنحاء مراكز المعرفة لجمع ونقل نصوص الأحاديث، وكانت معايير تقييم الحديث نتاج جهود تعاونية "، ويضيف "Bunt أن هذه المصادر المفتوحة للفقه الإسلامى تعرضت لحدود وقيود على مر الزمن، وقد تم الآن إعادة اكتشافها من قبل الجيل الملم بالإنترنت".

و Bunt الذى تخصص فى دراسة الشأن الإسلامى - مع تعدد أصواته على الإنترنت - يرى أن حتى المصطلحات المستخدمة لوصف الأنشطة عبر الإنترنت تستدعى صلات وتعبيرات تقليدية، فالمرادف العربى لكلمة Blogger هى "مدون" والتى تعرف بأنها - أى الكلمة - تعنى "التسجيل أو الكتابة " وهو ما يستدعى صورة المؤرخين الإسلاميين التقليديين. ويتفق Bunt فى ذلك مع ما ذهب إليه لورانس ٢٠٠٢ حيث رأى أن شبكة الإنترنت تؤثر على الأشكال التقليدية "الإسلامية" وخصوصا مع ميلها للتأكيد على المجتمع العالمى (أو لنقل مفهوم الأمة) أكثر من الهياكل المحلية.

ويقدم Bunt مثالا تطبيقيا على هذا حينما يشير إلى استخدام مواقع الإنترنت الإسلامية للطرق التقليدية بالسعى للإرشاد الدينى من خلال الأسئلة والأجوبة (ربما قصد بها الفتاوى والاستشارات الدينية)، ويضيف Bunt أنه ليس من المستغرب أن بعض المسلمين قد يدللون على انتمائهم الدينى عن طريق تحديد موقع على شبكة الإنترنت يستخدمونه بشكل دورى بدلا من تحديد مسجد أو طائفة دينية، وتمادى Bunt فى تفاؤله حينما أشار بقوة إلى أن ما هو جديد بالفعل هو إسهام المسلمين المفكرين والمهتمين بلا خلفية فى التعليم الدينى التقليدى. هذا الانفتاح للمعرفة الإسلامية للمؤمنين العاديين هو اشتباك جيد يشبه تقنية "المصدر المفتوح" open source وهو يمد الإسلام بقوته عبر التاريخ، ووفقا لـ Bunt فهو سيلعب دوراً فى إنقاذ المجتمعات المسلمة من المآزق الحالية.

وعلى العكس من Bunt يرى آخرون أن تمكين الأفراد غير المتخصصين من الحصول على المعارف الدينية بصورة مباشرة بل والمشاركة فى إنتاجها أحيانا يسبب فوضى.

وأعتقد أنه لا ينبغى للمرء أن يسارع بإدانة أو مساندة رؤية Bunt أو مخالفيه، فتقديم رأى قاطع ليس بهذا اليسر وإنما علينا أن ندرك أن ثمن الحرية التى يوفرها الإنترنت كمنبر للأصوات المختلفة وخاصة المهمشة يمكن أن يحدث نوعاً من التشظى والسيولة فى البنى والهياكل الدينية على الإنترنت ويخلق أسئلة حول ما هى المرجعية أو الجماعة أو الأفراد التى تمثل ديناً بعينه، والوعى بهذا

الثمن لا يعنى النظر بمحدودية لما يمكن أن تقدمه الخطابات الدينية المتنوعة عبر الإنترنت ولكنه يكفل لنا رؤية أعمق وترويا فى تصوراتنا فى هذا الشأن. يقول الباحث الإيرانى Saied Reza Ameli فى تحليله "الدين التخيلى وازدواجية المساحات الدينية": "نشأت التصورات العامة والشائعة عن الدين التخيلى من كل من الانطباعات السلبية والإيجابية عن الدين التخيلى (ولهذا فقد تبدو متناقضة) ومنهما تأتى التحديات المرتبطة بسلطة المؤسسات الدينية ويرجع ذلك إلى النشأة المتطورة للدين فى الفضاء التخيلى، وما صاحبه وفقا للبعض من – مثلا– تكوين شبكات الحركات والإرهاب الدينى فى الفضاء التخيلى، القضايا المتعلقة بالهوية الدينية والمجتمعات الدينية، كل ذلك جزء من جدالات عديدة حول الدين التخيلي يأتى فى القلب منها نقاشات عديدة عن قيمة التراث، التعاون الدينى فى المساحة المتخيلة وكذلك التفاعلات السلمية بين الأديان نتيجة لنظم الاتصالات المكثفة". وفى الإطار نفسه من رصد التصورات حول الإنترنت يجده البعض مورداً حيوياً لتشجيع ممارسات بعض من أتباع الأديان المختلفة فى سعيهم لتحويل الساعين للروحانية لمعتقد دينى أو ممارسة دينية بعينها فيما يعرف كلاسيكيا بالتبشير. وفى بعض الأحيان تتدخل المؤسسات الدينية الرسمية فى هذا ليجرى تعزيز هذا بطريقة من أعلى لأسفل عبر المنظمات الدينية التى تشجع هذه الأنشطة وتوفر مواردها، وفى حالات كثيرة يقوم بهذه المهام بعض من الملتزمين دينيا من العارفين والمتمكنين من استخدام الإنترنت.

وعلى ذكر ما يعرف بالإرهاب الإلكترونى E-Terrorism، يرى Bunt أنه في مقابل كل "جهادى" هناك آلاف من المصلحين، ويبرر ذلك بأن الإنترنت قد جعلت مصادر رئيسية مثل القرآن وسيرة رسول الله والنصوص المرجعية متاحة للجميع، بما يسمح للشباب المسلم باستخدام هذه المصادر لخلق حوارات جديدة وتقديم تفسيرات جديدة وبالتالى تحويل – ما وصفه – باقتصادات المعرفة الإسلامية، ويضرب Bunt مثالا على استخدم الإنترنت ليس فقط فى طرح الأفكار المختلفة ولكن فى التفكير بشكل مختلف حيث يقول بأن مجموعات مثل "شبكة الإسلام الليبرالى" فى أندونيسيا تستخدم الإنترنت لاستبدال الرؤى التقليدية وتقديم طرق جديدة للتفكير، كما أشار إلى مدونات الإصلاحيين بالعربية والفارسة والبنجالية والتى تلعب – كما يوضح – دورا رئيسيا فى تكوين الآراء، وتحدى إعلام الدولة وهى تستخدم دائما كوسيلة للمقاومة.

وفى السياق نفسه من الحديث عن مشروعية أصوات بعينها لتمثيل رؤية دينية ما، تقدم دراسة Understanding Blogging as a Religious Practice لعدد من الباحثين مسحا مهمًا عبر المدونات المسيحية لتقرر بأن المتتبع لحركتها قد يلحظ أن نوعا منها يعمل كمساحة لـ"الكنيسة الناشئة"، والكنيسة الناشئة فكرة غامضة، ولكنها ترتبط بلاهوت يتكيف مع ثقافة ما بعد الحداثة التى لا تعتمد على السرد المفرد العقلانى بل على مجموعة متنوعة من الممارسات، ولكنه يستدرك ليقول بأن دراسة أجزاء كبيرة من المدونات الدينية

لاتزال تعكس تأثير التجارب الدينية التقليدية، بما فى ذلك حضور الكنيسة ودراسة الكتاب المقدس، والعمل التبشيرى، وكذلك الاتصال بمصادر مسيحية بارزة على الإنترنت وكتاب مسيحيين معروفين.

عموما فقد أبرزت دراسات المجتمع الإلكترونى الدينى ليس فقط كيف تشكل البواعث الدينية سببا ضمن أسباب استخدامات التكنولوجيا ولكن أيضا كيف تمر المجموعات الإلكترونية عبر عمليات مميزة من الدمج لفهم مجتمعاتهم على الإنترنت وفى الواقع.

المؤسسات الدينية وإعادة التشكيل الثقافى للتكنولوجيا

ومرة أخرى لا يمكن توصيف الحضور الدينى لجماعة ما أو لمؤسسة دينية بشكل أحادى جامد، فالمسألة - فى رأيى - تخضع لعميات معقدة من التفاوض المستمر خصوصاً بين جمهور المتدينين والتكنولوجيا بوجهها الحداثى وقد وجد برزيلاى - ناهون وبرزيلاى (فى دراستهما للعام ٢٠٠٥) أن المجتمعات الأصولية فى كثير من الأحيان تقوم "بتثقيف" التكنولوجيا بحيث يحفظ استخدامها الثقافة الفريدة بدلا من إفسادها. ولا تقتصر عملية التهيئة الثقافية والعقائدية للتكنولوجيا على المجتمعات المتدينة بل تمتد للمؤسسات الدينية والتى قام البعض منها بعدد من المحاولات بإزاء وضع إطار أخلاقى وقيمى للإنترنت، ومن الأمثلة على استجابة الجماعات الدينية لقضايا أخلاقية ومعنوية على الإنترنت تقرير كنيسة إنجلترا Cyber-naughts Awake (مجلس الأساقفة، ١٩٩٩) لاستكشاف الآثار الاجتماعية والدينية لتكنولوجيا الإنترنت من المنظور الإنجليكانى.

ولقد عرضت الكثير من المنظمات الدينية بيانات رسمية تقترح ضوابط أخلاقية مؤسسة على الأفكار اللاهوتية فى الميديا وخاصة فيما يتعلق بتكنولوجيا الإنترنت. وأصدر المجلس البابوى للاتصالات الاجتماعية بياناً رسمياً فى عام ٢٠٠٢ "رؤية كاثوليكية للإنترنت"، وقد وصف ذلك وقتها بأنه نقطة انطلاق لمشاركة الكنيسة فى حوار مع القطاعات الأخرى فى المجتمع حول ما تعتبره مناسبا أو غير لائق فى استخدامات الإنترنت. وهذا التقرير الذى سمى "الأخلاقيات فى الإنترنت" تناول مساحات الاهتمام العام المرتبطة بتأثيرات الإنترنت فى المجتمع المعاصر حيث تضم الحديث حول تزايد الظلم الاجتماعى عبر الفجوة الرقمية، علاقة الإنترنت بالعولمة والحوار بين الثقافات، وتعقيد مسألة حرية التعبير على الإنترنت، وتأثير الإنترنت على الصحافة. وقد تم وضع ذلك فى سياق من داخل التقليد الكاثوليكى للاتصالات الاجتماعية الذى كان قد خطط له فى Com-munion et Progressio (1971) حيث يرى المجلس أن الإعلام لديه "القدرة لجعل الأشخاص فى كل مكان شركاء فى أعمال الإنسانية".

خاتمة

لقد كانت رحلة البحث عبر هذه الدراسة فرصة للتعرف على تفسيرات لعدد من الظواهر ارتبطت بفهم وممارسات معتنقى الأديان المختلفة على الإنترنت، وتبدو المفارقة البحثية فى أن الجانب الأكبر من المصادر التى اعتمدتها الدراسة هى أعمال لباحثين ومراقبين غربيين بالأساس أو من العاملين ضمن دوائر أكاديمية غربية، بينما كانت منطقتنا العربية فى هذا العالم هى مهد الأديان السماوية ومصدر الإلهام لمؤسسى الأفكار والفلسفات الدينية شرقًا وغربًا، وهو أمر يدعو للتأمل ولمزيد من تقليب الأفكار حول طبيعة الإسهام الذى يمكن أن تقوم به دوائر البحث فى مجتمعاتنا وفى أوساط المهتمين بتطبيقات الإنترنت والآثار الثقافية والاجتماعية لاستخداماته، وكما ذكرت فى مقدمة هذه الدراسة فإنه وبالرغم من

المشتركات الإنسانية (بين المجتمعات المختلفة) فى التعاطى مع وسائل الاتصال الإلكترونية ومحاولة دمجها فى الحياة الروحية والدينية لمستخدميها، فإن تاريخ التحولات الاجتماعية والثقافية التى تختلف من مجتمع لآخر قد يستدعى وضع أولويات بحثية مختلفة تستحق العناية عبر المتابعة والرصد والتحليل.

لقد اجتهدت هذه الدراسة فى تقديم مسح لأفكار مركزية واسعة، لكن التطلع مستقبلا يجب أن يكون فى اتجاه دراسات أعمق لقضايا أكثر تحديدا تشتبك مع تصوراتنا وممارستنا لمفاهيم الدين. . التدين. . الثقافة والتغيير عبر استخدام الإنترنت، كما نحتاج فى هذا الإطار للتركيز أكثر على مواقع وخصائص الشبكات الاجتماعية (مثل الفيس بوك، تويتر، يوتيوب. ..) وغيرها حيث تبرز إيقاعات أسرع و تفاعلات أكثر حيوية.

ورغم الخصائص التى يجب أن تتميز بها مثل هذه الدراسات من دقة واستقامة منهجية، فعليها ألا تفقد سمة الرحلة المعرفية بالانتباه لتحديها ومنطلقها الأساسى من فهم تفاصيل مكابدة الإنسان – بكل تعقيده وحيرته – فى محاولته التجاوز والسمو رغم ما يشغله على الأرض وتعبيره عن أشواقه إلى السماء. . إلى الله.

مصادر

- ستيفن أوزمنت (١٩٩٣) التاريخ من شتّى جوانبه: مطالعات فى تاريخ الغرب - الجزء الأول (الهيئة المصرية العامة للكتاب)
- عبد النور إدريس "سيسيولوجية الأديان الرقمية" ألقيت هذه الورقة بالمؤتمر العربى الأول للدراسات الرقمية بطرابلس بتاريخ - وأعيد إلقاؤها على طلبة الجامعة الشعبية بمكناس ٠٤/ ٠٣/ ٢٠٠٧
- على عزت بيجوفيتش (٢٠١٠) "الإسلام بين الشرق والغرب" دار الشروق
- المدونات نوافذ جديدة للمشاركة والتغيير:د راسة تحليلية لمضمون عينة من المدونات المصرية خلال عام ٢٠٠٩(دراسة مركز ماعت للسلام والتنمية وحقوق الإنسان)

Ameli, Saied Reza. (2009) "Virtual Religion and Duality of Religious Spaces", Asian Journal of Social Science, Vol. 37 Issue 2

Bauwens , Michel and Fa. Rossi Vincent "Dialogue on the Cyber-Sacred and the Relationship Between Technological and Spiritual Development" Religion Online and Techno-Spiritualism 7 (1999), via http://www.cybersociology.com/files/7_bauwensrossi.html

Campbell, H. (2005) 'Spiritualising the Internet: Uncovering Discourses and Narratives of Religious Internet Usage', in: Online-Heidelberg Journal of Religions on the Internet 1.1

Campbell, Heidi.(2006) "Religion and the Internet", Centre for the Study of Communication and Culture, 25(1)

Campbell, H. (2005). "Considering spiritual dimensions within computer-mediated communication studies", New Media &Socicty, 7(1), 110-134.

Campbell, H. (2007).Who's got the power? Religious authority and the Internet. Journal of Computer-Mediated Communication, 12(3), 1043-1062.

Cheong, P., A. H. Hop and K. Kwon (2008) 'The Chronicles of Mc: Understanding Blogging as a Religious Practice', Journal of Media and Religion 7 (3), 107-131

Collettc, Lin " Cyberspace: the New Frontier for Religion" Religion Online and Techno-Spiritualism 7 (1999), via http://www.cybersociology.com/files/7_cyberspacereligion.html

Davis, Erik. "The Spiritual Cyborg," Religion Online and Techno-Spiritualism 7 (1999), via http://www.techgnosis.com/techgnosis/tgspirit.html

Garner, Stephen. (2004) " Praying with machines: religious dreaming in cyberspace", Stimulus: The New Zealand Journal of Christian Thought & Practice, Vol. 12 Issue 3, p 16-22

Helland, Christopher. Religion, 2002 "Surfing for Salvation" Vol. 32 Issue 4, p293

Henderson, Charles. (2000), "The Internet as a Metaphor for God?" Cross Currents, Vol. 50 Issue 1

Kruger, O., (2004), "The Internet as Distributor and 'Mirror of Religious and Ritual Knowledge", Asian Journal of Social Science, Volume 32, Number 2, p.183-197(15).

Maxwell, Patrick. Religion, 2002 "Virtual Religion in Context" Vol. 32 Issue 4, p343

Rozehnal, Robert.(2010) " IMuslims: Rewiring the House of Is-

lam", Middle East Journal, Winter, Vol. 64 Issue 1

Sardar, Ziauddin (2009) " iMuslims, By Gary R Bunt", The Independent , via http://www.independent.co.uk/arts-entertainment/books/reviews/imuslims-by-gary-r-bunt-1768132.html

Scheifinger, Heinz. (2008) "Hinduism and cyberspace" Religion, Vol. 38 Issue 3, p233-249

Thumma , Scott" Walking the Cyberspace Labyrinth : brief reflection on the spiritual dynamics of surfing" , via http://www.kenrickparish.com/gresham/cyber.htm

Thieme, Richard (1997)" The Future Shape of Religious Structures", CMC Magazine, via http://www.december.com/cmc/mag/1997/mar/last.html

Warman, Matt (2010)" Get blogging, Pope tells priests", The Telegraph, via http://www.telegraph.co.uk/technology/news/7070480/Get-blogging-Pope-tlls-priests.html

Wertheim, Margaret. "Is Cyberspace a Spiritual Space?" Religion Online and Techno-Spiritualism 7 (1999), via http://www.cybersociology.com/files/7_wertheim.html.

المحتوى

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً في سلسلة
الثقافة الرقمية

1- الشباب ♡ مواقع الانترنت الاجتماعية

ترجمة : مصطفى محمود

2- الإعلام الرقمى والشباب

ترجمة : مصطفى محمود

هبة متولى

3- النشر الإلكترونى والإبداع الرقمى

السيد نجم

4- الهاتف المحمول الاستخدامات والموضة

حاتم باطه

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موراهيتلى سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496

تبدأ الباحثة دراستها بسؤال عن طبيعة الإنترنت وما إذا كانت تعتبر وسيطا روحانيا ، وتقودنا عبر رحلة لفهم الانترنت عن طريق تجاوز الثنائية التقليدية بين الروحي والمادي. وتتعرض الباحثة للطقوس الدينية المختلفة على الإنترنت والتي ربما نسمع عنها لأول مرة. كما تخصص الباحثة فصلا كاملا للمدونات الدينية حول العالم وتستعرض لنا نتائج دراسة هامة في الغرب عن نتائج استبيانات لحوالي مائة مدونة هم الأكثر تأثيرا واسهاما في النقاشات الالكترونية حول الدين في المجال العام وفي الأوساط الأكاديمية.

د. رشا عبدالله

الغلاف: د. خالد سرور

www.gocp.gov.eg
www.qatrelnada.com.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com

الثمن : جنيهان